

غرائزنا اليوم :



نخل عصرنا المادي الحاضر الذي تطلو فيه الحضارة الصناعية ، يقل الجهد المبذول للحصول على ما يكفل مجرد العيش كما تتلاشى حرية الفرد في علاقته مع الجماعة. ومن هنا كان السبب في ان بعض الغرائز او الطابع الفردية - كالليل نحو القنون الجيلة وحس الاستطلاع والكشف عن المجهول تتلاشى في الافراد لتنسو على انقاضها طبائع وغرائز اجتماعية كسب الحرب والتنظيم الصحي والتعليم الاولى ومبدأ التعاون في بعض الامور . وتبتلاشى الطابع الفردية تنسج الى حد كبير الشخصية الانسانية. ففي بلاد كالولايات المتحدة الاميريكية مثلاً ، قلما ينظر الى التنوع في الاشياء والمظاهر عموماً او الاختلافات بين فرد وآخر بشي. من الناحية او الارتياح. فالفرق التي هي حدود لمالم واضحة بين الافراد او الاشياء. ليست عندهم بذات اهمية ان لم نقل انها احياناً ما تكون مكروهة. فالنازل والملايس وادوات المزل كلها من طراز واحد صُنعت في معامل تخرجها بلالايين. ولا ينظر الى الاديين ان يكونوا على غرار مخالف لتلك الاشياء التي صنعت من طراز واحد بل تقرأى لهم مادة صبت في قوالب واحدة. وقوالب الاديين هذه صفة ظاهرة في النظام الشيوعي او هي حقيقة قائمة .

في هذا الوسط قوت غرائز القنون وحس الاستطلاع لان هذه الغرائز عجزت واضحة لشخصيات الانسان وكفائه. وقد ادرك ولادة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي هذا الامر فحاولوا ان يخففوا من اثر نتائجه وعواقبه بان جعلوا للفنانين والادباء والمفكرين امتيازات خاصة ومكافآت لا حد لها .

واختفاء الغرائز التي تبعث على تعليب الجمل وحس الاستطلاع عن المجهول لفا تخلق في الناس ميولا مريضة. وتحتفي هذه الغرائز غالباً في الافراد الذين حرروا القدرة على ارضائها . ومن هنا كان حب الناس للحوادث المثيرة كحوادث القتل واخبار القضاة والطلاق والتهويل وما إليها . فتجد اليوم الصحف والمجلات التي تنشر هذا النوع من الاخبار والمقالات المثيرة مقروءة ومطلوبة اكثر من غيرها لانها تدخل على نفوس اناس يفتقروا من فرط الحرص على اسباب معائشهم وكسبهم - اي استحكمت فيهم النزعة المادية - الى حد الذلة والاستكانة وماتت في نفوسهم كل عاطفة قوية سامية فلم يبق لهم الا ارضاء غيلاتهم - التي بلغت حداً كبيراً من الارتباك والاضطراب - لانها تذكي في نفوسهم خيالات تثير لها اغندتهم وتثير شعورهم وتتقدم من ملل العيشة في المكاتب والمعمل في المصانع او السعي المركز للتواصل وراء الریح الكثير. وتزى ايضا ، للسبب نفسه ، في الاوساط المثالية وواج « العاب الورق » والتحدث بأسرار التبر ويوار حلقات المسامرة الهينة والاحاديث الطلية الشيقة كان الناس قد اصيروا يقيم في الحديث وتلف في حسن المحاضرة.

والخلاصة ان هذا العصر المادي قد أفقد الانسان كثيراً من غرائزه الفردية المتنازة وبعث في النفوس نزعة جامعة للكسب تعدت مطالبه وغايته من هذه الحياة بما اورثه الطبع وارثا كمال العنف والدوان - كالثورات والعصيان في الامة الواحدة وقيام حروب طاحنة بين امم عديدة - لان حب التهج والتهور والخروج عن المؤلف يكون امراً محترماً لا مفر منه في اناس حبست غير عواطفهم وقتلت في نفوسهم أنبل الغرائز ...

امين ابو عز الربيع

طوره أدبية

«ممرست موم» W. Somerset Maugham

بنفسه

في تناول شخصياته وتحليل رغباتها المكبوتة، ويدهو على ذلك قائلاً: «إن دراسة الطب فتحت أمامه أفقاً من المعرفة العلمية الصلبة» نفرد الإنسان في أوج عظمتها كما عرفه في ذلك، وأصبح للقيم الإنسانية في نظره معنى آخر يختلف مما تألف عليه الآخرون. حتى الألم الرفيع، هو أشرف تلك القيم وأصاها متطهرًا للكل الماطفي، ولا يرى هو فيه إلا انفصالاً عادياً، يبعث في النفس الألفية والحقد والشكوك السودا ويجعلها تستغرق في حدودها الضيقة، فتفس بالضمون الانساني، فالشيء الجدير بالاعتبار في رأيه هو - دائماً - ترويب الشر، لا تأمل الخير!!

هذا الشك في الطبيعة البشرية، جعله انطوائياً، يفر من المجتمعات ويكره مصاحبة الناس حتى زملائه الأدباء، فقامت علاقته بهم على الحذر والجودة أكثر مما قامت على الود وحسن المعاشرة، من ذلك أنه اتهم حين أصدر كتابه «Cake and Ale» بالتمريض الأدبي الانكليزي الورد «توماس هاردي» فلم يستطع دفع التهمة برغم ما تمحّل من مآذير.

ومع ذلك، فقد كان يرى في تلك الطبيعة المريية شيئاً حبساً جيئاً، لا مفر منه، فهو مع تسقطه للنقايس حريص على الأعداء، ما دامت الإرادة ليست حرة في الاختيار على أي حال. وقاده عرفانه بشرف عهده وذله ماءً إلى الثقة بنفسه، ثم إلى يقينه بعدم جدوى إيجانه وإن كان من مظاهر حقيقة أن ينتج، كما أن من مظاهر حقيقة النهر أن يسيل.

آمن أكثر شيء، بالبحاثة الفردي، فلم يهتم بالآخرين، ولم

«ممرست موم» أحب كتاب القصة المعاصرين إلى قلوب القراء عامة وخاصة، يستوي في الانجذاب إليه - كما قال أحد نقاده - قراء «تولستوي» من المستعربين، مع قراء «روايل سايابا تيني» من القرواء. ذلك لأنه يمزج الأصالة والألفة، وعنى الفكرة، والتشويق المثير، مزجاً لا فداً مسكراً.

وقد ذاعت كتيبه في أعقاب الحرب الأخيرة، فزجراً غامراً، مرده إلى واقعيته الصارمة، ونظرتها القائمة إلى الدنيا والناس، في سحابة وساحة وإثان... وبالرغم من بواغبه الآن الخامسة والسبعين من عمره الحصب. فإنه يعد قراءه مزيداً من النشاط الفني، ويعد مشروفاً ضففاً من الانتاج الأدبي لحسن سنوات قليل.

لكن «موم» في القصة والرواية والمسرحية، خصائص جليلة الدلالة، بادية التميز. مذهبه المنفرد ينبع من نشأة طبية، طمعت بطابع الوضوح والقصده، إلى واقعية جعلت بشاعره إلى التشاؤم وانتهت بقلبه المترد إلى سوء الظن في كل شيء. وزاد في تنبية هذا الاتجاه، مركب النقص الناجم عن عاهة مستديفة في قدمه، حتى أصبح من أشد الأدباء المعاصرين شغفاً بالكشف عما في الطبيعة البشرية من شرور وأكأم، مصدرها يواحد لا تكسر!

وواقعيته طبيعية. تهتم بمخاض الحياة العذوة وتطورها، وتستقي مادتها من خلاصة تجارب علم النفس الحديث، الذي يسلط الفرائز على العمل، ويورد نشاط تلك الفرائز الغامض إلى متاهات النفس، ويجاهل العقل الباطن.

ولهذه وتلك، يأخذ عليه نقاده، أكثر شيء، قسوته البالغة

يكسب لاعتناهم . لا يمينه الاعتناق بقدر ما يمينه ارضاء نفسه ، وتحقيق ذاته . . لانه عند نفسه اعظم مخلوق ، يرغم اعتقاده بان وجوده وعدمه ليس شيئاً بالنسبة للخلق ، وان المخلود شي . مقبى بعدد محدود من السنين ، ثم يلف النسيان كل شي .

وآمن بأنه لا ينبغي له ، كما لا ينبغي لأي كان ، ان ينصب نفسه موجهاً ناصحاً ، فليس هو سادن الفضيلة الفضل ، ولا هو القيم على تصرفات الآخرين . الجبرية العليا هي التي تتحكم في المصائر ، فليقتنع اذن ، ان يراقب ويسجل ، لا ان يسطر ويهدي ، خاصة بعد ان قاده تجاربه النفسية الى الاعتقاد بان مسافة الخلف بين طرفي ابي خلق ، ليست من الاتساع بحيث صور الاخلاقيون ! وليس من كان هذا شأنه محتاجاً تصديقك . انه لا علي اعتقاداً خاصاً ، بل يسجل احداثاً خاصة . واذا الخلت للتعرف الى اعتقاده اليقيني الجازم ، تسال لك بلهجة الساحرة الدنيئة : « انني اتق في حقيقة واحدة ، هي قلة ما اتق فيه » . فلعلته الاصيل الحياء . لا الحيلة . وتوكلت مزية نفس غنية قابلة ، تنظر على الكثير العالي .

اعانه تفاعله مع المرضى في مستهل شبابه ، يبدد لا ينضب من التجارب النفسية والفزيولوجية . فبدت له الطبيعة البشرية في عريها الكامل ، تجل عب . ضعفها الانساني ، فهانت عليه الدنيا ، وجست له هذا الهوان موهبة السخر « Humour » التي تلتاك في جميع اعماله ، وهو نفسه لم يتنكر ان الاستهانة بالدنيا قيته بان تدفكك الى القسوة في عرض افكارك ، والحكم على التصرفات والبحث عن دوافع السوء الخفية ، الكامنة وراء مظاهر الطبيعة الحادمة . فالساهر مضطر الى البحث عن هذه المفارقات ، حتى اذا لم يجدها مبذولة انشأها انشاء . وهو محوّل على تجاهل دوامي الجمال والحجر والحق لانها لا تصالح موضوعاً لسخرية . وميته سريمة التدسس الى مواضع النقص ، لا مواضع الكمال . ومع كل ذلك فالسخرية بناتها الرفع شي . تختلف جداً عن الفكاهة التنازلة والمزح الخبيث ، لانها تقوم على عرض المتناقضات والمضارفات عرضاً مجرداً ، لا على التشفي الحادق والتذلل البذي . . الساهر مها قسا ، يحمل بين جنبيه قلباً شقيقاً ، وكل ما يصنعه ان يبرز كتميه هزة رحيمة مصعوبة ببسة او حسرة ، ثم يضي دون ان يحسّل ضمناً . انه لا يهدف الى اقبال التورق ومنع القيم الحقيقية ، بل هدفه ان يفكر ويحسن التأمل ، واذا وصل المرء المصارف الى هذا المستوى ، ففر وسامع وان بدا لك انه عنف وجار !

هكذا نستطيع ان ندرك كنه هذه الروح المبعدة التي تملك بالفرغم

من تقيدتها ، مميّناً ثراً من الرضوخ والاقسياب ! وهذا ايضا نستطيع ان نفهم اختراز « موم » من متخلفي الكتاب الذين يحسبون الكمال التقني في خلق شخصيات سوية الخلق والتفكير ، متسة بخلصة المعاني المتكسفة ، لان السوي الكامل في رأيه مخلوق استلوري لا وجود له في العالم الخارجي ، فتعري الصدق يوجب على الاديب ان يتناول شخصياته على حقيقتها المائلة بحالها وقبحها وقوتها وضعفها ، وعظمتها وقذالها .

ومن كان هذا شأنه لا يؤمن بالوهبة النادرة والعبقرية الفذة ، بل يؤمن ان حرقة الادب شي . يجلب مكتسب ، هي قضية طلاقة وصبر لا اكثر ولا اقل . وهو يقول في تواضع اليق : « اني لانتظر الى نفسي فلا اجد لي مزية واحدة تجعلني على عرش فريد . كل ما اعتز به هو جلد على ايمان التفكير وادمان التأمل ، ومصاحبة القلب حتى يصح هذا القلب مصدر لذة خالقة ، تبعد آليتها لتحرز ذاتها وخلص نفسها قبل كل شي . فكلن المتأديبين ان قراءة بضعة مؤلفات لكتاب معاصرين تكفي لتكوينهم الادبي ، خطا بعض . الكاتب الذي لا يجدد نفسه لا يستحق صنعة الاديب . وتحديد النفس يكون بالاطلاع الدائب على المعارف القديمة في مجاليها الفنية حتى يصح التأمل والاستجابة ، والرفعة في الخلق سمجية وسليقة . » ورأي « موم » في مهمة الادب ، من ثم ، رأي واضح لا لبس فيه . ان قيمة الفن عندنا ليست في الحدو العقلي والازواء العاطفي ، بل في مواجهة حقائق الحياة المرة بطاقة مليئة . قيمة الفن ليست في اللمعة الجمالية المرفقة ، بل في علم الحق وعمل الحق ، حيث تنفي الروح وتمسك الحياة . غاية الفن كفاية الفلسفة ، هذه تبست من الفضيلة والفن يحلها ليستطاع تقيدها واعتناقها ومحبتها . والفرق بينها ان الفنان يبدو وكأنه غير معني بالنتائج الحقيقية ، فيكون روحه تلقائياً عفواً عن ارادة حرة لا تخضع لاموس مفروض ، بل هي تصنع التاموس . . ايتار الحق والحياة ، اذن ، دون روضر لمبدأ مفروض . غاية الفن اطلاقاً . ايتار مجرد لا يجذب نفعاً ولا يطلب تعالياً . جزاؤه فضيلته وجدواؤه في ايجانه الايجاني الذي يتجلى في العمل لا في اللمعة بالغة ما بلغت روحانية تلك اللمعة !

« فسروست موم » مثل حي لا يجب ان يكون عليه الاديب رحابة افق وشمول نظر ، وعن ثقافة مصدر عمق ، اطلالة الوريق على المذاهب الفلسفية المختلفة . اضاءه ما اضئ غيره التفكير المضي في حل اسامي الكون ، سعي في اثر فلاسفة ما وراء الطبيعة حتى اتبعه الرقص في متاهاتهم ، ثم التجذب الى المثالية فالواقعية ، دون

طيف

رويدك يا يعقطة الشاعر
وهجت دفيناً من الذكريات
عرضت لأيامي الحاليات
فأين انغلاق طيب الحياة
وإين الشباب المجد الطروح

زحمت إلى البيض خاطري
بقلي وجسدت لي غابري
فأنكرت من بعدها حاضري
وأين جمال الصبا الناضر
وثوباً إلى المهدف الآخر

هويتك يا طيف لا كان يومي-
وعدت كاني أسير الليالي
أسير هوى، لج في قلبه
فهل انت يا طيف طيف الحبيب
وهل جئت توقظ في الصدر
وعلاً ذكرت لنا جلسة
ويوم أتيت الرياض افتش
عرفتك في هينات الريح
وهذي دروب الهوى أقفرت
فأين مكانك بين الورد
وأين الطريق ؟ قد أنكرتني

وعشت بإيمائك الطاهر
أسير الندامة والشاعر
حين إلى أسير الزاهر
يلوح على البعد في نظري
بعض الحين لعهد الهوى الباكر
براديك بين الشذا الماطر
في الورد، في البرعم الزاهر
وفي خطرات الصبا العابر
وأضحت حراماً على السائر
وأين رسوم المسوى الدائر
فعدت وفي غصن الحائر

سأنتك يا طيف ان تنشي
زعمه - بنانه

جرحت فؤاد التي الشاعر
موزيف مجا

ان ينعم براحة.. ثم استقر أمداً عند فلسفة
« البرجائيم » ثم عرف « بيرجسون » فاعجب
بذهبه الجليل في تنليب « البصيرة » Intuition
على كل ما عداها. واخيراً جذبه « برتراند
رسل » بسبيلته ونصاعة عرضه، وقرأ « كانت »
فصرته احبياته وان لم يستطع ان يدرك
ادراكاً واعياً، هذا الذي سماه « الشيء » في
ذاته « وكل ما حوله يوجب به الى الرضا
بالمظهر المقسوم ». لكنه استروح الصفاء اكثر
شيء من المذهب الاخلاقي لهذا العالقي، وفي
ان يعمل المرء ما يريد ان يكون قانوناً عاماً
لكل عمل، يخلى من عالم المناسبات والادراج.
ولقد منحت هذه الدراسات المتسرعة قلته
الروحي ولا أهاليته الزينة وبدأ اثر ذلك
واضحاً في جملة كتبه وخاصة في: « The Ra-
zer's Edge of Human Bondage »

اما اسلوب « موم » فهو اسلوب مغر
بالسلاطة والالسياب في لغة البقة واضحة
كأنكاره.. مادة التشويق تترقق في ثناياها
كالنور الدافئ والسحر الموحى. وهو يشلب
الكتاب الذي يتطلبون من قرائهم مجهوداً
لهم، فالفقه في يد الأديب يجب ان تكون
أداة طبيعة للتعبير يسر حتى عن اعوص القضايا
الفلسفية وأرقها. فاجدوى التفاهص بالعريب
اذن، وتعيد خواطر الروح تعقيداً لغزياً
يأسد جمالها الساخج، ويذهب بألقها الفريد
وفي يقينه ان الغموض مرده إما الى كسل
الكتاب وإما الى جهله، حين لا يدرك هو
نفسه ما يقول، ادراكاً بصيراً، وليست
في عقله فكرة واضحة عنه.

هذا تعريف سريع بمميزات هذا
التصاوص الغد ومقومات فنه واجياً ان نتاح
لي فرصة أخرى للتحدث عن رأيه النفيس
في المسرحية. فالى لقاء قريب ..

سفر جمعة

محمد

النوم والارق

بسم عبد الخالق عبد الرحمن

علاء

في اول تقرير نشره العالمان الاميريكيان لايزو ومولر ان من اقدم الحقائق المعروفة عن النوم ان النائم يكون نشد افرافاً في النوم في الساعة الاولى منه في اية ساعة تالية، وان الصوت الذي يكفي لابقاطه في الساعة الثانية لا يوقظه في الساعة الاولى، وقد حدثت هذه الحقيقة بالكثيرين الى الزعم بان نوم ساعة واحدة قبل نصف الليل يعادله نوم ساعتين بعد نصف الليل، وهو زعم خطأ، فقد اثبت الاختبار انه وان يكن نوم الانسان (ثقيلاً) في الساعة الاولى، فان عضلات الجسم تكون اشد استرخاء، في الساعة الثانية والساعات التي تليها. وهذا الاسترخاء هو دليل على انخفاض نشاط الجسم الى الحد الأدنى، وهو شرط لازم للنوم الهنيء. وفي الواقع ان حالة النوم اذ نوعه اهم بكثير من مدته، فقد يستفيد الانسان من نوم اربع ساعات (اذا كان النوم هنيئاً) اكثر مما يستفيد من نوم تسع ساعات نوماً غير هادى.

تاثير الرياضة والحالة النفسية

اثبت البحث ان القيام بالرياضة البدنية قبل النوم يبعد الناس ويجعل النوم متقطعاً. وعند البقطة في الصباح يشعر الانسان باستيلاء الناس على افجانه بعكس الاجهاد الفكري قبل النوم فانه لا يؤدي الى شيء من النتائج المذكورة وفي الواقع انه كلما كانت حالة الانسان النفسية اقرب الى الهدوء عندما يادى الى السريره كان نومه اقرب الى الهناء ولذلك ترى الذي يادون الى الفراش وهم يتوقفون سوءاً في اليوم التالي لا ينامون نوماً هنيئاً.

تاثير الجوع والذلاء.

وقد اثبت البحث ان من اهم اسباب الارق عند البسالتين

ثلاثة (١) تناول غدا. غير ملائم للعدة (٢) تناول كمية غير كافية من الطعام (٣) عسر الهضم. وكل واحد من هذه الاسباب تكفي لاحداث الارق وحرمان الانسان النوم الهنيء. ولا يتجنى ان معدة الانسان تهضم الطعام وتصبح بعد نحو اربع ساعات من تناوله فارغة. فاذا فرضنا انه تشي في الساعة السابعة مساءً، فان معدته تصبح فارغة حوالي الساعة الحادية عشرة، فاذا اعتاد تناول الطعام في الساعة الثامنة صباحاً كان معنى ذلك ان معدته تقفل فارغة تسع ساعات متوالية وهذا يسببه الارق. واذا فرضنا انه استطاع ان ينام ولو نوماً متقطعاً فانه يشمر في صباح اليوم التالي بجسول مفرط ويظل الناس مستولياً عليه طول النهار وبكسر ذلك اذا تناول عشاءاً في الليل متأخراً وهضمه هضمًا جيداً وشرب قبيل ايوائه الى السرير مشروباً حلواً دافئاً فانه ينام نوماً هنيئاً. واذا استثنينا بعض اصحاب المزاج العصبي فان تناول الشاي والقهوة مع العشاء لا يسبب ارقاً كما يتوهم الكثيرون. والارجح ان الارق الذي يصاب به احياناً من يتناول شيئاً من المنبهات هو ناشى عن سبب آخر كافتراط في الحركة والهوى في السهرة قبل النوم. فاذا كان هذا هو سبب الارق فان الحلم الساخن كقيل بالرائحة.

الصوت والورد

لقد اثبتت التجارب انه ما من صوت يحدث بقرب النائم مها يكن خفيفاً الا ويؤثر في عضلاته بعض التأثير ويكاد يوقظه. والذي ينام على مقربة من خطوط السكك الحديدية لا يمكن ان ينام النوم الهنيء. وان هو اعتاد صخب المركبات وسواء انقظته تلك الصجة ام لم توقظه.

وكذلك النور فان اشته تزور في النوم وقد تذهب بهودتد

ولادة الكالسيوم أيضاً تأثير نافع . وهذه المادة تؤخذ عادة مع اللبن فإذا نقصت من الغذاء كان النوم مضطرباً متقطعاً .

الاضلالات والشناس

كما لا شك فيه أنَّ لكل شيء يتبعه فينا الانفعالات النفسانية تأثيراً في النوم . فالذي يقضي يومه في اضطراب او انفعال نفسي او في عمل يستغرق كل الأفكار والقوى يتم في الليل عادة نوماً متقطعاً . بخلاف الاعمال التي تنهك القوى الجسمية فقط فانها مجلبة للنوم الهنيء .

وقد ثبت الاختبار ان القراءة قبل النوم مجلبة للناس والحلوف من الارق مجلبة للارق . ولعل خير وسيلة لجاربة الارق هي مطالعة كتاب تمتع قبل النوم . وقد جرب الأطباء هذه الوسيلة فأُسفرت عن نجاح عظيم . قد يستطيع الانسان الانتطاع عن الغذاء عدة ايام واسابيع ولكنه لا يستطيع الانتطاع عن النوم اسبوعاً واحداً فان ذلك يورده الهلاك . وحتى جاوز الانسان الخامسة والثلاثين اصبح اقل حاجة الى النوم واصبح الحظر من تقصير ساعات النوم اقل .

عبد الحافظ عبد الرحمن

بدر

التجارب على ان ومضة نور تحترق بجوف غرفة النائم سريعاً تؤثر فيه وتقلقه وان هو لم يشعر بذلك شعوراً جلياً .

واغرب من ذلك تأثير لون الغرفة في النائم فقد ثبت ان الالوان علاقة كبيرة بنوع النوم ودرجة هئائه . فإذا كان اللون الغالب في الغرفة مائلاً الى الخضرة او الزرق كان النوم هيناً وان كان اسود او لوناً من الالوان الفاتحة فان تأثيره يكون عكس ذلك .

التياب ووضع الجسم

وللتياب أيضاً علاقة بالنوم . فبعضها يعوق استرخاء العضلات ، وبعضها لا يحول دون ذلك . وتدل التجارب على ان الذي يتم عارياً من التياب يستريح بنوم هنيء . جداً ولكن لا تأثير لوضع الجسم على السريو او لكيفية الاضطجاع فان الجسم يتقلب من وضع الى وضع كل خمس عشرة دقيقة تقريباً والطبيعة تهدي الى الوضع الذي يلائمه . فقدر التنام تارة مستلقياً على ظهره ، وطوراً على بطنه ، واخري على احد جنبيه وقلما يثبت على وضع واحد اكثر من ربع ساعة او ما يقرب من ذلك . على ان النوم على البطن او على الجانب الايسر قد يكون اقل نفعاً من الاستلقاء على الظهر او على الجانب الايمن . الاحلام والغذاء

الارواح والاحلام لا تؤثر في النوم كثيراً الا ان بعض الناس يسمون احياناً مذهبين من حلم مزيج بقدر البحوث العلمية الاخيرة على ان الاحلام المرعبة تكثر على اثر تمار يقضيه الانسان في حالة لا تدبر الى الارتياح فكرياً وقد ثبت ان تناول الطعام المغذي يعرض للجسم بعض القوت التي يحرمه ايها الارق . اي ان الذي يصاب بالارق في ليلة قد يستطيع ان يحصل بواسطة الغذاء على القوت التي كان ينتظرها من النوم الى حد ما . ويؤخذ من الاختبار ان الاكثر من اكل البسكو او المواد السكرية يوازي نوم ساعة او ساعتين . واذا اكل الانسان المواد الباقية للعضل فان هذه المواد تقص ساعات النوم التي يحتاج اليها الجسم لتجديد قواه وتوسط نحو ساعتين في كل ليلة . واذا سهر الانسان ثم شعر بالناس فليتناول شيئاً من الحلوى فانها توضع عما فاته من النوم . واذا استيقظ باكراً في الصباح لدا من الدوامي وهو يشعر بانه لم يأخذ قسطاً وافياً من النوم فانه يستطيع ان يعترض عن ذلك القسط بوجبة تكثر فيها مادة الكربوهيدرات (اي السكر) . وفي الواقع ان تناول الحلوى في آخر السهرة مما يعرض على الانسان ما يفوقه من النوم .

موظف في شركة I.P.C. ١٠ طفل عمره اربع سنوات يربح الجائزة الكبرى ٢٥٠٠٠ ل.ل. في المسابقة التي انصبت في الموظف

السيد ابراهيم باروف

الطفل هادي توفيق محمد دوياد

موظف في شركة I.P.C. وله صاحب كارتاج في باب السانية طرابلس

الحب القبل للناصب الوطني يوم السبت ٣ ايلول سنة ١٩١٩ الساعة ١١ صباحاً في قاعة سينما امير - اشتروا اوراقكم - الجائزة الكبرى ٥٠٠٠٠ ل.ل.

مصرع الدوقة دوبراسلان

بنم قديمي فلمي



القضايا الجنائية ، وإن بدت أحياناً قضايا عادية بسيطة أو قضايا فردية ضيقة الطاق، دروس وعبر كثيرة ، تلقي عند معرفة الظروف التي أحاطت بها والشخصيات التي اشتركت فيها، نوراً قوياً على المجتمع الذي افترقت فيه ، وعلى مدى الاثر الذي تتركه الانظمة الاجتماعية السائدة في مرحلة من مراحل التطور التاريخي، على علاقات الناس بعضهم بعض وفي حياتهم الفردية وأخلاقيهم الشخصية نفسها . ذلك مثلاً شأن هذه المسألة العائلية التي أثارت الطبقة الباريسية العليا منذ قرن كامل : في التاسع عشر من شهر تشرين الأول سنة ١٨٢٩م قد الأب فورتيه في كنيسة مجلس الشيوخ بقصر اللوكسبورغ ، للركيز تيوبالك دو شرازول براسلان على آلدريس ووزالبا سيلاستياني ديل يورثا . وكان المركيز في العشرين من عمره ، وهو من أعرق الأسر الفرنسية ، ومن أرفعها مقاماً ، ولم يكن على شيء من الجمال أو الذكاء ، وربما كان أميل الى القبح والغباء ، غير أنه كان ذا قوة جسدية قد لا تبدو للوهلة الأولى لمن ينظر الى جسمه القصير النحيل ، ولكن سرعان ما تبدو لمن ينظر الى يديه القويتين الفليطتين ، وهو سوداوي المراجع فازر النصب سريع الحلق والغضب ، ولكنه يسيطر على أعصابه في المجتمعات العامة فلا يبدو منه ما يغم من شراسة واحدة .

أما العروس فكانت في يديها السابع عشر ، وهي على نقيص زوجها في كل شيء . ماتت أمها فاني ، وهي تضعا ، وكان أبوها الماريسال سيلاستياني سفيراً في تركيا ، فأرسلها الى فرنسا وهي في الثانية من عمرها تعيش في كنف الممرضات والخدم ، فنشأت مرفقة

الدوق دوبراسلان



الحس رومانتيكية التزعة . وكانت يوم زفافها فتاة مشرقة القامة ، سمراء ، ذات عيني سوداوين تتألقان ذكاء وتفحيان عاطفة . أقام الزوجان الشابان في قصر سيلاستياني الذي قدمته المرأة لزوجها كإيالة . وفي وسعنا القول بأن حياتها الزوجية كانت سعيدة في أول عهدها ، أو أنها لم تكن تعيسة على الأقل ، غير أن فاني ، وهو الاسم الذي أطلقته على نفسها أحياناً ، لذكرى أمها ، كانت تزوج شيئاً فشيئاً تحت عبء الحياة العائلية ، فقد أنجبت عشرة أطفال مات واحد منهم ، وبقي لها ست بنات وثلاثة صبيان ، وترك الحمل المتعاقب آثاره في صحتها فذوت نضارتها وترهل جسمها . . .

وكانت علاقة المركز بزوجته تضف كلما ازدادت أباها المائلة حتى انقلعت تماماً . ولم يقتصر على ذلك ، بل أخذ يفكر في حرمانها من تربية أطفالها ، لأنه كان فولتيري التزعة ، وكانت مؤمنة تقية ، ولم يكن يسره تنشئة اولاده على عقائدها . ولقد فكر في الانفصال عنها ، ويبدو أنها كانت تستعد لذلك لولا أن الله قد توفي في الثامن والعشرين من حزيران سنة ١٨٤٠ فاصبح دوقاً وعضواً في مجلس الشيوخ ، وورث قصر فو الكبير ، ووجد أن هذا القصر الذي أحمله أبوه في حاجة الى عناية كبيرة لا يمهض بها ماله وحده ، ولا بد من أن يستعين من أجل ذلك بمال زوجته ، كما يستعين بنفوذ أيتها لتوليد مركزه . فأقلع عن فكرة الانفصال ، وبقيت فاني في القصر امرأة مهلهة تنفق وقتها في عمل الخير ، وتغدق حبها وحنانها على الفقراء والبائسين ، حتى صاها معارفها : القديسة دو براسلان ، فكان هذا القلب شجر تعزية لها .

انقضت سبع عشرة سنة على زواج فاني، بلغت في نهايتها سن الرابعة والثلاثين .

وفي هذه السنة من حياتها ، وهي سنة ١٨٤١ ، ظهرت المرأة التي اختارها القدر لتسقي تلك القديسة كأس العذاب حتى غالتها . كانت تدعى هنرييت ديابوزي . وكانت حينذاك في السادسة والعشرين من عمرها ، وهي جميلة ، شقراء ، ذات شعر معقود على الطريقة الانكليزية ومسترسل على كتفيها . ووراء هذه الطلعة الساحرة تكمن ارادة فولاذية يدعمها ذكاء حاد وثقافة واسعة .

ان جميع هذه الصفات كانت تؤهل هنرييت لان تكون نمرية ممتازة . ولكن الجبر الذي جاءت لتعيش فيه لم يكن جواً عادياً نقياً ، وكان حرباً بان تتحول فيه كل فضيلة الى نقیصة . وقد سبق هذه المرأة الشاببة في ادا مهنتها بضع آנסات استحقن كلهن في عملهن وتحلين عنه من تلقاء انفسهن ، او بإشارة من رب المنزل او ربه ، او من كلهما على السواء . فهل في رسمها هي القيام بهذه المهمة الشاقة ؟ في ليلة دخولها الى القصر ، سلها الدوق مذكرة سجل فيها المبادئ التي ينبغي لها التزامها في تربية اولادها ، ومن هنا المبادئ اذا جاز التعبير ، ان الحرية وحدها هي التي كسرت على كل ما له علاقة بحياة الاولاد ، وهي التي تعين الأشخاص الذين يجوز لهم معاشرتهم او يجب عليهم تجنبهم ، وعليها ان لا تسبب لهم اي ضرر بل تربيتهم في جناحهم أبداً ، واذا اتفق ان مرض واحد منهم فيدسح لها بزيارة الولد المريض وحده ، وعلى كل حال فانه لا يحق لها الاجتماع بالاولاد الا في حضور أبيهم او في حضور الممرضة .

وهكذا شرعت هنرييت منذ اللحظة الاولى بصوبة مهنتها ، وادركت من هذه التعاليمات المفرطة في القسوة مدى الحقد الذي يكنه الدوق دو براسلان لزوجته .

ماذا يصنع هذا الرجل المخلوق ، المضطوي على ذاته ، والذي هو في حاجة دائمة الى القيام بمحركات عنيفة تقمع له البرهان على قوته وخطره ، حتى انه كثيراً ما يحطم كل ما تقع عليه يده لاذى لزوجته ؟ ماذا يصنع هذا الرجل بين امرأتين تتنازع كل منهما بالذكاء المتحد والماطلة المتهبة والحلق الصارم ، ولكن شخصيتيها مختلفتان مع ذلك ، فان احدهما سلبية والاخرى ايجابية ؟ اماذا يصنع وهو في تلك السن التي يوسوس فيها الشيطان للرجال ، مغرياً ايامهم بان يعيشوا شباباً جديداً بعد شباهم الداوي ؟

ضاققت هنرييت با معرفت من عاطفة فاني وفض مشاعرها ، ورا

لمست من ثرواتها قلبها الجريح ، وما ترك هذا الجرح في نفسها من عصبية وحدة . واعجبت بما بدا لها من هدوء الدوق ورحابته ، دون أن تسبر غورهما وتعرف ما وراءهما ، حتى كانت ترد ما يندر منه أحياناً ، من عنف ، وهو طبع أصيل فيه ، الى أسباب تنوهمها



الارثال سيابتياني

أو ذرائع تحتلقتها . ورأت انها واوله على اتفاق تلم في تأييد المناهج التربوية الحديثة والاخرى ، خلافاً للسيدة فاني التي كانت تعارضها معارضة شديدة .

واوجد الدوق في هنرييت المرأة التي يهوى ، فزعم انه يريد الاشراف بنفسه على تكوين قوى اولاده العقيلة وهي اول فتاتها وتطلعها ، واتخذ هذه الحجة ذريعة للسهر كل ليلة في جناح الاولاد بجانب هنرييت . وجن جنون الدوقة ففقدت كبريائها وكرامتها ، وغدت تتجسس على زوجها ، وتتضرع اليه وتبكي بين يديه ، وتخاصم هنرييت وتصب عليها جام غضبها . وتحولت الحياة في القصر الى جحيم لا يطاق ، فهي خصومة مستمرة وشكاوى لا تنقطع ونحيب متصل . . . وكان يبدو للجميع كأن هذه المرأة الشقية هي مصدر هذا البلا .

لم يكن لدى فاني دليل على ان الدوق وهنرييت كانا عشيقين ، ولكن كان لديها الف دليل على ان زوجها تيويك لا يجد نفسه سعيداً الا حين يكون الى جانب هنرييت ، وعلى أن وجودها هي كان بمثابة الجحيم ، فهي مبث ألم لهم وضيق لا يبعث هناءً وارتياحاً . .

وكانت تصرخ في عزلتها المخيفة : فلم يعد لي زوج ولا اولاداً وتمكث ساعات طوالاً على منضدتها تكتب الرسائل لزوجها ،

وفي نقشه على زوجته الملاح

كان يأخذ عليها تقطيعها الدائم ، وشكايتها المستمرة ، وبكائها المتواصل ، ولم تكن تستطيع أن تسلك غير هذا المسلك وقد حرمت زوجها وأولادها ، واحتلت مكانها في قلب هذا الزوج وهؤلاء الأولاد امرأة غريبة اغتصبت حقها في الحياة الزوجية السعيدة ، ووجدت لذّة السيطرة على مقدرات القصر الذي دخلته كمرأة عابرة فاصبحت تتصرف فيه مثما تهوى .

استمرت الحياة في قصر الدوق دوراسلان على هذه الوتيرة خمس سنوات اجتازت خلالها أنباء الحصوة المستمرة بين الزوج وزوجته والمنافسة الدنيئة بين الزوجة والمربية ، جدران القصر ، وتحدث بها الناس في كل مكان ، وبلغت البلاط نفسه .

واقترحت فاني في عمرة ألما وبأساء ، ان تبعد عن القصر وتعيش منفية في زاوية قصية من العالم ، ولكن المارشال سياسيتاني الميجور كان يرى ان هزيت هي التي يجب ابعادها عن القصر ، وقد كتب الى صهره بصراحة الجندي الذي لا يعرف توبيه الحقيقة ، طالباً اقضاء المربية معلناً استعداده لان يدفع لها رواتبها طوال المدة التي تعيها الى ان تغادر فرنسا وتقيم في انكلترا .

كان ذلك في حزيران سنة ١٨١٧ ، وكان الضغط يشتد على الدوق وعلى هزيت ، وفي كل يوم يزور احداهما او كليهما السكان أو كاتب العدل ، ناصحاً او مهدداً او مقدماً عروضه . .

وأخيراً استسلم الدوق ، او تظاهر بالاستسلام ، اذ ليس من يستطيع ادراك حقيقة عواقب شدة غموضها وتعقدها . . فأنشأ بفاوض هزيت ، وظل يناقشها لاقناعها بوجهة نظره طوال يومين . . ثم قدمت استقالتها وهي تتعجب . .

ولكن هل كان ذلك قطعية نهائية ؟

من الصعب الاعتقاد بذلك ما دامت هزيت لم ترحل الى انكلترا حيث استوجر لها منزل خاص ، بل اقامت في تزل بشوارع هارلي بياريس . فإذا كانت تنتظر ؟

اما في قصر فوكانت الدوقة تكابد عاة كبيراً في استعادة اولادها واكتساب محبتهم من جديد ، لتلقهم بهزيت وتلقهمهم على سماع أخبارها وتلقي رسائلها ، وكانت المربية الذكية تعرف ذلك منهم فلم تنقطع يوماً عن الكتابة اليهم ، ويبدو ان تأنيبها عليهم كان عالياً حتى انهم كانوا يلقون الباب في وجه امهم كلما ارادت زيارتهم .

او تدون خواطرها في مذكراتها ، وهي رسائل ومذكرات شائعة تصور وضعها أروع تصوير ، والبك بعض ما جاء فيها :

مطلع سنة ١٨١١ - اني اقسم لك يا لي ان احاول ابدأ ان يكون لي عليك أي سلطان . ان كل ما اريده هو ان اشارك حياتك لاجلها واضع بلساً على جراحتك . لقد هربت عدي لانك تحبني ان احاول بسط نفوذتي عليك ، فيا صديقي ، اني اقسم لك بيجي ، اقسم لك بك ، وبكل مقدس غال ، اني لا انشد غير حبك وتعتك مثلاً محضتك حي وثقتي . . لسوف اكون طوع يدبك ، فقدني كما تشاء ، ولن اعذبك بعد الآن بغيرتي . . ولن اصبح لنفسي بجانتك او بتوجيه الصبح اليك . .

لقد طردت زوجتك من سريوك ، ومن قلبك ، فهل هناك معاملة أفسى تعامل بها لو كانت خائفة ؟

الرحمة يا تيوبالد ، الرحمة ، للمرأة التي تحبك !
كانون الثاني ١٨١٢ - تيوبالد . . . تيوبالد . . ألا يكفينك انتقاماً مني لتعزتي (وهي غيرة يعبرها سلوكك) أن تهجرني ، ونحيا الحياة التي ترق بها قلبي منذ وقت طويل ، والتي تدل جميع مظاهرها على خيانتك لي . . ؟ ألا يكفينك ذلك حتى تحرمي احترام اولادي لي وحبائهم ونفقتهم ؟

لقد فقدت زوجي واولادي . . وانا على مقربة منهم ولكن لا يسمح لي بالاستمتاع بهم . . وقد أصبحت هباءً نيفياً . . عترة . . وليس في وسعي ، وفي قلبي مرارة هذه الآلام ، ان أبدو مرحة لعمري ، الا اذا كنت ممثلة بارعة !

كانون الثاني ١٨١٢ - لقد انتزعت مني اولادي لتعطيهم الى امرأة طائشة لا تكاد تعرفها ، ثم اعطينا جميع الواجبات ، والمباهج ، والسلطات التي كانت لي . .

انك تحقد علي حيناً اتكلم مثل هذه المرأة عن الاشخاص الذين يسيرون في ألما عالياً . واني لأحسب نفسي على ذلك احياناً . . ولكن تلك صرخات ينثرها الألم من قلبي انتزاعاً . .

أكتب لنا اذن بأن نقضي أمانتنا الاخيرة في الألم والعزلة ؟
لقد أحببتك دائماً يا تيوبالد ، ولم احب نيكوك . وانا اتلم منك الآن ولكني لا ازال احبك . أردت ان اكون رفيقتك وصديقتك في جميع الظروف ، وان اشارك آلامك وسرارتك ومشاكلك جميعاً . هكذا كنت أقهر الزواج والحب والصدقة .

منات الرسائل كتبها فاني لزوجها شاكبة ، متوسلة ، متضرعة ، ولم تكن هذه الرسائل الحادة الا لتريد في غضب الزوج الخالد

مع هبوط الليل ، وصعد الاولاد الى جناحهم ، ومضى الدوق الى جناحه دون ان ير جناح الدوقة التي كانت تنتظر في قلق وبأس عظيمين . . . وانقضت بضع ساعات . . .
نامت الدوقة ، ونام جميع من في القصر ، ما عدا الدوق الذي جفاه النوم . . . وطال قلق الدوق ، وشعر بقوى غريبة تعصف في قلبه وفي رأسه وفي يديه اللطيفتين الحشيتين . . .

ودقت الساعة الرابعة صباحاً وهو لا يزال يضرب في ارض الغرفة طولا وعرضاً . . . مفكراً في المأزق الذي وضعته الاقدار فيه ، يحاول الاختيار بين فاني وهنزيت . . . ثم لم يعد يستطيع صبراً ، فارتدى معطفه المتري بوجده من درج احدي الخرائن فأخذ منه عدة اشياء . . . سلكها في جيبيه ، ومضى الى باب الغرفة ففتحه ، واجتاز الرواق ، ودخل الى مخدع زوجته . . .

وبعد دقائق قليلة ابتقلت الحدم ، دقات الجرس الذي اخذ يرن في جناحهم زنباً متقطعاً غير منتظم صادر عن غرفة الدوقة دوراسلان .

خرج الحدم الى غرفة الدوقة فإذا هي مغلقة ، ففصلوا بابها ودخلوها ، فأروا في ضوء النهر الدوقة دوراسلان تسبح في بركة حراً ، وقد تجلم رأسها بضربات من سدس كبير ، وتقرق جسدها بطبقات سكين ، واليداء لا تزال تترق من جراحها الكثيرة ، والفرقة مبهتة من حوله تشهد بان عانت المرأة من رعب وما كابدت من عذاب . . . فقد لاحظها القاتل في الخاء الغرفة وهي تحاول الهرب من بين يديه ، فوقعت غير مرة ثم نهضت متجاهلة على نفسها ، واخذت تسبح مضطربة متوحشة فاقدة الوعي ، وقد امسكت يدها الداميتان بكل قطعة من قطع الاثاث ، وبكل ناحية من الجدران الاربعة ، وتحوت طويلاً من جبال الجرس ثم قبضت عليها وتشبثت بها بيأس . . .
وقد لوث الدم كل مكان وكل شيء من الغرفة ، حتى قطعها الحذر التي بقيت من عشاها ، والكتاب الذي كانت تقرأ فيه قبل نومها وهو يسمى : « الناس الصالحون » . . .

لم تكن هنالك جثة قتل بل كانت عمة مذهبة ومجزرة من اشنع ما عرف الناس من مذابح ومجازر .

وبينا الحدم ينظرون الى الجثة الدامية مروعين ذاهلين ، دخل الدوق الى الغرفة وفي يده شمعدان يتألق كمن افساق على اصوات الحدم واقبل لمعرفة النباء ، فاكد يرى جثة زوجته حسني تراسي عليها واخذ يردد بصرة آلية :

ما افلح هذا ! يا لهول ! يا لها من امرأة مسكينة ! يا ولدي المساكين ! من الذي اقدم على هذا ؟

وكذلك كان الدوق يتلقى رسائل هنزيت فتفضل فيه فعل السحر ، ويتذرع بالحجج المختلفة للسفر الى باريس مرة ومرة ، وزيارة المريية الحسنة في زلها برفقة بعض اولاده . . . ولم يخف ذلك على الدوقة دوراسلان فاحتمد غضبها واعتزمت أمراً . . . فادامت هنزيت لا تريد الابتعاد فانها ستبتدع هي مع جميع افراد الاسرة وترحل بهم الى حمات ديب .

وابلغت المرأة قرارها لزوجها ، فثارت ثائره ولكن لم يستطع الرضا لانه لم يجد ذريعة يحنج بها ، وعيناً حاول مصالحة زوجته واعادة الامور الى ما كانت عليه ، فان الدوقة قد اصرت على الرحيل الى ديب ، فشخص الدوق الى باريس مرة اخرى ، واجتمع بهنزيت منفردين في غرفة طافت بها متزهات المصاحبة ، وانجهرها بعزم الدوقة على السفر الى ديب ، وانجهرت ان انباء مغامرتها قد تنهات الى التزل الذي تقيم فيه فأمرتها صاحبة بتأديته الا اذا حضرت شهادة حسن السلوك موقعة من الدوقة براسلان !

وتولت الدوق حيرة عظيمة . . . لقد كان عليه اما ان يخسر سعادته او يخسر شرفه . . . وكان من الصعب عليه ان يختار بينهما . . . فلم يستطع الوصول الى حل مرض ، وكان يتبنى لو ان المصادفة تقفه ، ثم يتسأل الا يمكن تهمة المصادفة وتحضير الظروف التي تحيط بها ؟
غادر هنزيت ومضى الى قصر سياستباني ، بشارة فوربرسان هونوره ، ودخل الى غرفة زوجته الحالية ، وكسرك طويلاً ، ثم غادر القصر وانطلق الى فورباغن لزوجته موافقة على السفر الى ديب ، وانفقوا جميعاً على ان تبدأ الرحلة في صباح السابع عشر من آب ، فتعطي الاسرة يوماً في باريس للاستراحة ثم تواصل سفرها الى ديب .

في اصيل اليوم السابع عشر من آب ، بلغت اسرة براسلان احدي محطات سكة الحديد في باريس ، واستقلت ثلاث عربات جلست الدوقة وبناتها في العربة الاولى ، وجلس الدوق والصبيان الثلاثة في الثانية ، وقعد الحدم في الثالثة . وفيا العربات الثلاثة منطلقة الى قصر سياستباني ، انفصلت عنها العربة التي تقل الدوق وعرجت الى شارع فوربرسان هونوره فوقفت امام التزل الذي تقيم فيه هنزيت ديلوزي ، والذي اشتد ضغط صاحبته على المريية الحسنة لانها لم تأت بشهادة ساوك من الدوقة دوراسلان ، وتزل الدوق لرؤية صديقته ، وطلب منها الحضور في اليوم التالي الى القصر لاختذ الشهادة المطلوبة مؤكداً انه سيقنع الدوقة اثناء الليل بتوقيعها . . .
وتابعت العربة بعد ذلك طريقها الى قصر سياستباني قبلته

وجاء طبيب الأسرة وفحص المرأة المزعومة ، فإذا هي مصابة بثلاثين طفلة ، منها أربع طعنت قاتلة في صحتها ، ولكنها كانت لا تزال حية يرغم ذلك كله . غير أنها ما لبثت أن ماتت بعد لحظات قليلة دون أن تلفظ كلمة واحدة .

لم يبق بالتصديق في مقتل الدوقة دوراسلان شرطة عاديون ، فان مكانة الضحية ومكانة ابنيها الماريسال ، قد أثارت اهتمام السلطة فنفذ إلى مكان الجريمة وزير الداخلية السيد ديلبيير وقاضي التحقيق السيد بروس ورئيس الشرطة السيد آلارد وجيهود كبير من الوجاه . والشخصيات الرسمية بينهم الشاعر فيكتور هوغو . - وقال رئيس الشرطة للوحة الأولى :

- ان القتلة المخطوفين لا يقتلون بهذه القفازة ، لا ريب في ان القاتل من الطبقة الارستوقراطية !
وانجيه الرأي اول الامر الى ان الجريمة قد وقعت بدافع السرعة وان المصوص قد دخلوا من النافذة المفتوحة . وكان الدوق دوراسلان لا يتأ يوجه النظر الى هذه النافذة .

ولكن الذين يعرفون ما بين الدوق وزوجته من خصوصية وما بينه وبين هيريت ديلاوزي من علاقة مريبة ، لم يصدقوا حكاية المصوص الذين اقتحموا على الدوقة غرفتها ، ولتمسوا بتلقاها زوجها نفسه . لا سيما وان رجال الشرطة قد اكتشفوا على قرب الدوق لطفاً من الدم زعم انه تطلع بها حين هرع الميراثية الضحية واسماها . ولكن رجال الشرطة قد اكتشفوا ما هو اعظم من ذلك ، اذ عثروا في غرفة الدوق على نصل خنجر محمل وملوث بالدم ، وسكينه صيد ، ومسدس كبير قد علق بمؤخره قطعة صغيرة من جلد بشري اشبه بمجدة الرأس !

لقد كانت جريمة الدوق واضحة بعد هذه الأدلة الصارخة ، ولكن رجال الأمن لم يلقوا القبض عليه يرغم ذلك ، واكتفوا بأبقائه في قصره تحت المراقبة ، فما هو السبب الذي حدا بهم الى ذلك ما هي التاية التي كانوا يهدفون اليها ؟

كانت فرنسا حينذاك على ابواب ثورة شعبية ، وقد اشتد النضال بين الجماهير الكادحة والطبقات العليا ، وخاضت الصف للمماطلة في الشؤون الاخوية في كثير من القضايا والجرائم التي ارتكبها الناس في هذه الطبقات الحاكمة ، فلم تشأ السلطة اعطال هذه الصف وتلك الجماهير موضوعاً جديداً لهاجتها والتحدث عن فضائلها وتفضيها ، وتمتد لو ان الدوق دوراسلان هو شخصية كبيرة من شخصيات الطبقة السائدة ، يوفر على نفسه وعلى الوسط

الذي ينسب اليه ، الفضيحة التي ستبوحها عما كنهه والحكم عليه ، وذلك بان يقضي على نفسه بنفسه قبل ان تضطر السلطة الى اعتقاله . تلك هي الامنية التي كانت تحالج القاضي باسكيه ، وما لبث الدوق دوراسلان ان حقق في الواقع هذه الامنية ، او هكذا قيل على الاقل ، فتناول السم وتعرض لخطر الموت . وحيداً عدت السلطة الى اعتقاله في صباح الاحادي والشرين من شهر آب ونقله سراً الى سجن مجلس الشيوخ .

وقد بدأت معالجة الدوق ومحاكمته في وقت واحد ، فاعتقد في ذلك اليوم نفسه الى جلسة قصيرة امام مجلس الشيوخ ، لارضاء الجمهور الذي كان يطالب بمحاكمته بجملة نظيفة ، ولكن القاضي باسكيه رئيس مجلس الشيوخ عد من ثم الى اجراءات واستجوابات سرية بموكلان اول ما صغته انه حل الدوق على الاعتراف بانه قد صدم نفسه ، وهو امر كان الأطباء قد بدأوا يشكون فيه !

وترداد صحة الدوق سوءاً ، ويشهد لخطر عليه ، هو مصر على انكار التهمة الموجهة اليه انتقاداً لاسم عائلته من ان يطلع بالعار . ثم بلفظ انفسه الاخيرة بعد ثلاثة ايام من اعتقاله ، ونظم القضية ، ويتهى كل شيء . . .

لقد انتهى كل شيء . من الناحية القانونية على الاقل ، ولكن الشب الفرنسي ظل يتحدث من قضية دوراسلان وقتاً طويلاً كأنها قضية لا تزال قيد البحث ، لان الكثيرين كانوا على اعتقاد جازم بان الدوق دوراسلان لم يزل على قيد الحياة . . .

واسحق ان هنالك بعض الأدلة التي كانت تحمل على الظن بأن الأطباء الشرعيين الذين شرحوا جثة الدوق دوراسلان بعد وفاته انحصاراً لم ينقصوا جثته حتى بل فقصوا جثة رجل آخر اعطيت لهم من مستشفى اوتيل ديور ، وان الدوق قد استعاد صحته ، وغادر السجن الى انكلترا حيث عاش وقتاً قصيراً !

اما هيريت ديلاوزي فقد اوقفت عدة اسابيع ، ثم اطلق سراحها لتثبت براءتها من الجريمة ومن التهميش عليها ، ثم رحلت الى انكلترا ومنها الى اميركا ف تزوجت في نيويورك الكاهن هاري فيلد وهو اصغر منها سناً ولكنه أرمل وفذولدين .

ويذهب بعض المؤرخين الى ان مصرع الدوقة دوراسلان بهذا الشكل الوحشي ، وما تناقلت الالسن من عزم الحكومة على انتقاد القاتل من يد العدالة لتبذره وغناه ، ثم ما شاع عن ربه الى انكلترا ، كلن احد التوامل التي اذكت نفة الشب الفرنسي على الطبقة الحاكمة وأدت الى ثورة سنة ١٨٤٨ .
فدري فلمي



مجموعة اسطوانات

ARCHIVE

بنم نزار سليم

وقف

خلف بار المشرب ترهب الشاربين وعلى فها
للطبخ بالصيغ ابتسامة لا معنى لها ويدعا تمث
بالقطع المدورة التي كان يطبخها اياها صبي المشرب بعد ان اخذ منها
قدحاً من البراندي وانتابها شعور غريب من الاملستان وعدم
المبالاة، فليس في وقتها وابتسامتها ما يمكن ان يقيو مجرى حياتها
وانها اذ ترهب هؤلاء الرجال تنص بنوع من الغرة والغرور، ولو
كانت فتاة عادية كباقي الفتيات لاجها شخص واحد وتودد اليها
وحده وحاول ان يسترضيها دون غيره، اما هي فهي وقتها هذه
وابتسامتها ونظرتها الموجهة الى الجميع
دون تمييز، باسكتان ان تطلعن الى ان
كل واحد من هؤلاء مستعد الى ان يوفر
لها كل ما تطلب. واكثر من هذا فانها
تعرف بحبيها هؤلاء. اكثر مما تعرف

اية فتاة ما يضروه محبها... اجل انها تعرفهم واحداً واحداً، تعرفهم
حتى لو كانت هذه الخطوة التي يتخطوها هذا القادم اول خطوة في
المشرب. انها تعرف الشخص من جلسته ويده على مسند الكرسي
الحشي مرمية دون اكتراث والسجارية في زاوية من فمه، او من
نظرة اليها او الى الحائط. انها تعرف من نظرتة هذه ما يريد
ولما جاء الى المحل واي نوع من الاسطوانات يجب، وعلى الاخص
الاسطوانات... انها لتتخيل هؤلاء الرواد مجموعة اسطوانات لاغير.
وابتست لهذه الفكرة الطارئة وشرحت نظرتها لدى هذا
الحاظر الغريب. فباسكتانها الآن ان
تحول بنظرة هذا الرجل الجالس قدامها الى
نظرة سعيمة وان اسطوانة لايتو لكن
ما بأولشي تجمل من هذا الشاب المنفرد
على المنضدة في الزاوية النضية قطعة

قصّة

من ذكرى . وهذا الذي جاء الآن يخرج من مدخل المشرب، انه
ليوت طرباً بسلوانة (اقدية ان حفظ الموى او ضيمه) . لكل
واحد من هؤلاء اسطوانته المفضلة . حتى انهم مجموعة اسطوانات .
— أكسة تسعين، نسع اسطوانة ما لي فتنت بملكك الفتاك !
— تكرم .

واستدارت نحو الاسطوانات بعد ان ابتستله . يجب ان تبسم
له على اية حال، ولو انها واثقة في قرارة نفسها انه لكان يعنها
بهذا الطالب . وقيل ان ابتد الرجل قالت له :

— على ان تقرأ هذه القطعة من الآن فصاعداً .
قالتا باهمة فنظر الى لائحة كتب عليها (الربا . ممنوع طلب
الاسطوانات) فابتسم وهو يترجم مبتدأ :
— لا بأس هذه المرة فقط أكسة . — تكرم .

ولكن الذي حيرها هو ذلك الذي دخل المشرب الآن ، انها
لم تستطع فهم نظرتها التي كان يلقيها عليها بين حين وآخر عندما
تصعد الحجر في رأسه . انه لم يطلب منها اية اسطوانة حتى الآن
كما انهم لم يظهر للتأثر على وجهه من اية اسطوانة انه يجلس هكذا ،
كما جلس الآن ، طوال الوقت يشرب ويدخن ويرقب الجالسين
وبين أن وآخر ينظر اليها نظرة ليس فيها اى معنى وفيها كل شيء .
وقد حاولت كثيراً ان تظهر عدم اهتمام بهد انها لتكثر الابتسام
لنعمه كلما نظر اليها . لشد ما كرهت نظرتها هذه . الظاهر انه لم
يأت من اجل المشرب فهو غير آبه بما يشرب ولم يشرب واي نوع
يشرب كما انه لم يأت من اجلها كما يفعل ذاك الجالس في زاوية
المشرب الذي يرهقها بنظراته الشرهة الحيوانية وابتسامته كما
طلب شيئاً جديداً وكأنه يقول بابتسامته (اتني اشرب من اجلك)
او انظري ان الشرب لا يؤثر في بلبي مقدار كان ا

وكانت الاسطوانة قد انتهت فاسرعت الى مجموعة الاسطوانات
تقلها ووضعت ما اختارته على فضتها تنتقي منها الاسطوانة الملائمة
لهذه الساعة فلكل ساعة او لحظة اسطوانتها المناسبة بالنسبة
لها وللزوار . فهناك اسطوانات تجمل من كل نود الحروب و نود المكوث
وشرب كأس بيلة اخرى .

ماذا تضع الآن من هذه الاسطوانات !
والقت نظرة على الزوار وابتستت عادت الى ذهنها فكرة
الاسطوانات . ولكن هذا اى نوع من الاسطوانات يجب ؟ انها
لتنشرف الى معرفة ذلك ، ليس من الممكن ان تعرف ؟
آه . . هذه الاسطوانة لا بأس بها في هذه الساعة .

— انت انت ولا انتش داري . انت انت نعيمي وفاري .
— وابتستت للكل ونظرت لكل .

وارداد كل من في الحانة ان يسر هذه النظرة في صالحه ، لم
تنظر اليه عندما وضعت الاسطوانة ! ولكن احد الجالسين صاحبه
وهو يتبسم وطلب آخر المزيد من الباندي .

وفي جوة نظرتها الطائرة هذه عرت على كفتي هذا التريب وقد
ادار ظهره ناحية البار فلم تستكن من رؤية وجهه وأسرعت في نقل
نظرتها خفية ان يحس احد الزوار او يلحظ نظرتها التي طالت
والسكاري يلحظون كل شيء من هذا القليل بسهولة تتجسم
الفكرة في ذهنهم .

واستمر عبد الوهاب يحصر اغنيته على شخص واحد من
راحت هي تبسمه بين زوار المشرب فكل واحد منهم الآن (هو)
(هو ولاهوش داري) .

وكلما صاح عبد الوهاب . — انت .
وزعتها نظرتها على الزوار بكل بذخ وتعميم . وفجأة
احسبت بسفها ما تقبل وبجفارة وقتها الوحيدة ، بين قطع من
السكاري كانت نظراتهم تتجاوب ونظرتها الساجية في كل
مكان وتلاشت الابتسام من فها الملتصع بالصنع وريداً رويداً .
انه هذا هو الفرق بينها وبين غيرها . وفجأة اسرعت الى (الكرامفون)
فرقت الاسطوانة ، وهناك من لاحظ هذه الحركة منها وهناك من
لم يابه بها وهناك من لم يعرف بان الاسطوانة قد انتهت ام لا . لقد
سمنت فجأة وبدون سبب مقول وقتها هذه . انها تريد من تضع
له هذه الاسطوانة او تغنيها له انها تريد من يمكن ان تقول له :
انت ، انت ، دون غيرك . انها بحاجة الى شيء من الاخلاص الذي
حرم عليها ، فهي لا تستطيع الآن ان تخلص لاحد فلن يخلص لها
احد بدوره من هؤلاء الذين كانت تشر بالزرة والغرور كلما
فكرت بانهم على استعداد لتوفير كل ما تبغي ا .

وهوت الاسطوانة من يديها فرغ بعض الزوار رؤوسهم ،
وتعجب آخرون وضحك قسم آخر بينما اسرع صاحب المشرب فوجدها
تبكي : — ما هذا ! أمن اجل اسطوانة تبكين ؟ لا عليك يا حبيبي
لا عليك ، لقد كان قضاء وقدراً . سوف لن اطالبك بشئها .

واسرع الى (الكرامفون) فوضع اسطوانة اخرى على سجل
خفية ان يؤثر هذا الحادث في زوار المشرب بينما ظلت هي تبكي
بسكون وقد اخفت وجهها بينديها خلف البار .

وزار سلم

أنصار الشطرنج : هو لعبة الملوك وهو رياضة للعقل . ومن المحتمل انه جاء من الهند اما اصله فقد ضاع في لثائف القدم . وقد انتقل من الهند الى فارس ومن فارس الى اوربا . ففترعه فرنسا اولاً . ثم عرفته إنجلترا .

وكل مصطلحات هذه اللعبة شرقية الاسماء . وقوانين هذه اللعبة واحدة في جميع بلاد العالم . ويرجع تاريخ لعبة الشطرنج في إنجلترا الى القرن الحادي عشر الميلادي . وقد اولع بها الملك هولي الثاني (١٠٢٧ - ١٠٨٧) وقيل انه لما هزمه امير فرنسا التي برع في الشطرنج فوق رأس الإمبراطور فكان هذا سبباً في ان تشب بينهما عدوة شديدة . ولعبة الشطرنج هي اولاً وآخر لعبة الهواة والمهارة . وقد سميت «فن العقل الانساني» وقيل انها تقوي الذاكرة . وتقتنق القوى العقلية . وقيل انها تعمل في تلك القوى عمل الرياضة البدنية للجسم . ويقرر الخبراء في هذه اللعبة ان بضعة اسابيع تكفي للذلم بها . ولو ان من الثابت ان اللاب الماهر يولد ولا يصنع .

ومن امهر لاعبيها « تسو كرنوت » البولندي (١٨٤٨ -

١٨٨٨) وقد كان الفائز الاول في

المباراة الدولية التي اجريت في باريس

عام ١٨٧٨ كما كان الفائز الاول

في مؤتمر الشطرنج الذي عقد عام

١٨٨٣ وقد قيل من هذا الرجل

انه كان يدير اللعب فوق ست عشرة رقعة في آن واحد .

واليكم ما قيل ذمياً في لعبة الشطرنج : قال احد شائعيها : لقد مضى

يلي اليوم ما يقرب من العشرين عاماً منذ خرجت من أسر الرق

الظالم رق تلك اللعبة المروقة بلعبة الشطرنج . مستعيناً في ذلك

بكل ما اوتيت من قوة في الارادة . ومضاء في الفرة وقد ظلمت

عدداً من السنين اسيراً لتلك اللعبة . وكنت اذهب يوماً والقي

بنفسى ، فيحتوييني الندي الذي يلعب فيه اللاعبون تلك اللعبة ،

كما تذهب الفراشة تعرض نفسها للاحتراق باللهيب .

ثم اظن هناك لا اقل من سبع ساعات ملووب الارادة . وكانها

طاف بعقلي طائف من الجنون فألتصت بمباح الكتب والموسيقى

وسمرات الواجبات البيتية كما انصبت حب الزوجة والاهل . ثم

اصبحت قائلاً بتلك اللعبة لا استطيع عنها انفكاكاً .

وكنت اقضي مع سائر مدمني تلك اللعبة ساعات اليقظة جائعاً أمام

منضدة من الرخام في (قهورة فينا) او في (الصالات الجديدة) او في

بنية ناجي (اتينيوم) واقصد « نادي الشطرنج » لا « نادي الادب » .

حيث كنت واحداً من اسارى هذا الافيون . فاذا القيتي يوماً غير

لاعب - في الحقيقة والواقع - (وأنه لا اقرب الى السخرة وتوالتهم

ان يحسب الشطرنج في عداد الالاب) . اقول اذا القيتي يوماً غير

لاعب - في الحقيقة والواقع - وجدتني متكباً على تأليف مسائله

او مشغولاً بحل تلك المسائل . واذا رأيتي يوماً ولما انظر الى رقعة

الشطرنج . وكان بصري قد سكر كما سكر بصير الذي غلبه

النوم على امره . فاعلم اني قد شغلت بأمر اللعب بطريق المراسلة

مع امثالي من الهانين « في منشقة » او « ايسشيرون » .

ولقد حضرت المباراة التي جرت بطريق التلراف في متندى

« سيبيل » عندما لابت إنجلترا امريكا . ولقد استوعبت مواد

كل عدد من اعداد « مجلة الشطرنج البريطانية » ولم ادع منها

شيئاً . وقرأت الكتب والمقالات التي كتبت من الشطرنج . وكنت

اذا بقي لي من الوقت فسحة . قطعت قصاصات المسائل لدرستها

وحلها . وكنت اعمل في جيب صديرتي جواً من الجهد . وهو شيء

يبدو بريئاً لا ضر فيه . فاذا تبيت القيت رقعة من رفاع الشطرنج

وذلك نوعاً للملاقي اذا سافرت .

احد الذين بهم جنة من امثالي .

ولامبو الشطرنج في نظر

المشاهدين ذوي النظرة العابرة .

هم خلائق في اهل الارفع من اين

البريكة ودمائة الخلق وهم قوم يعيشون في الاسر . وكنت اذا على

هذا الرأي يوماً ما . وكان يبدو لي ان هؤلاء الناسك العابدين يقضون

حياة بريئة طاهرة نقية . وانهم يشغلون انفسهم بتأدية لعبة ، وان

خلت من اية فائدة ونفع فلا اقل من انها لا تلحق اي اذى برجل

من الرجال اودابة « من الدواب » .

ولقد اتى علي حين من الدهر خلت فيه ان العالم قد ينجو اذا ازيع

السياسيون كلهم عن كراسيمهم . وجلس مكانهم لاعبو الشطرنج .

ولكن هذا الرأي كان قبل ان ادرس نفوس هؤلاء الرجال النساء البائسين

وقبل ان يسم دمي ذلك المكروب الذي يلعب اجسامهم .

واني لارجو منك ايها الرجل الذكي الذي لم تمسك نار هذه

اللعبة ان تدقق النظر في سلوك اولئك اللاعبين الذين غروا وضلوا .

وقد شغلت نفوسهم بما يصفونه ويسونه « لعبة المباراة » .

واتت اذا امننت النظر القيت الى جوانب كل ضعية من

اولئك الضمايا جهازاً قوامه ساعات ذات رقاص . حتى اذا نقل واحد

من غلاة الشطرنجيين قطعة من قطعه لمست يده زراً من الارزاق فتفتت

الشطرنج بين انصاره وخصومه

بسم مبارك ابراهيم

عندئذ ساعته وتبدأ ساعة خصه في دوران لا يبطى. ولا يتوقف. وطبقاً لقوانين اللعبة فإن من لا يحرك قطعه عشرين تحريكة في الساعة عد من الخاسرين. ولذلك فإن ما يقال من ان ريسح الطنانية تلاً جو هذه اللعبة انما هو بعض افتراء. وانك لتجد الارنب امام حيوان خار من اجوارح اهدأ بالاً واكثر طينانية واقل عذاباً. ولا صو الشطرنج هم في ظاهر أمرهم هادئون البال. ولكن بين حنايا ضلوعهم ثأراً تظلي، وفي عروقهم دماً يسلي ويفور، وفي دوسهم براكين تكاد تنفجر. وفي نفوسهم توفراً وقلقاً والى جوانبهم تدق تلك الآلات الجنونية. وكثافت حياثهم تتسلل في ثنايا دقاتها. وهي تندر بوقوع القضاء في آخر دقاتها. وفي عام ١٢٣٠ ميلادية قامت في فرنسا حكومة برتحيكية فست منماً بالافراط في هذه اللعبة.

وجاء في كتاب من كتب التاريخ ان رجال الدين في فرنسا لم يحرم عليهم ان يلعبوا الشطرنج. فصوب بسل حرم عليهم ان تكون في بيوتهم وقعة من وقاع الشطرنج. وفي الحق ان هناك دواهي نفسية لآخاء بها ولا غرور تبور افراط لاعبي الشطرنج في لعبهم. فلعبة الشطرنج لا تعرف منصر الحظ. وهنا الحلة التي تلسع. ولهذا السبب وحده لم تخل هذه اللعبة المزمومة للانس الذين وهن العظم منهم والذين تاهوا في بيضاء الحياة. وقد يصح ان تكون هذه اللعبة صالحة لتلافة الصين. اذ قد يستطيع اولئك الناس ان يصلوا بانفسهم فوق مستوى صفوف الرعب والفرح التي تكتأبنا. وانما لنعلم ان الصينيين يستطيعون ان يلاقوا - في قوة احتمال بل وهم ياحمون - اقسى انواع العذاب واشدها هولاً ولهذا كانوا الذين اخترعوا لعبة الشطرنج. ولكن الاناس الذين خلقوا من صلاصا يجب عليهم ان يتجنبوا العراك الذي تجرد من صفة الانسانية.

وليعلم القوم الماديون تلك الحقيقة المرة التي تقدر ان لا عذر لحاير في تلك اللعبة. فاللاعب يملك تحريك القطع. ولعبة قواعدا المقررة كأنها الحقائق العلمية. وهي لا تعرف للشبهة معنى. وفي صفوف الالعب الاخرى التي لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً يراعى دائماً ان الانسان من حلم وحس. ويجب لهذا الهمم المسكين حسابه. ويراعى هذا الضعف الانساني عند تقديم الحساب. وحكمة الكون قد تنفضت قاقوت وجود عصر الحظ وانك لو اوجد في لعبة «الكريكت» وفي «لعبة البليارد» ترا الحظ واضحاً. وانك لو اوجد اثر الحظ ايضاً في لعبة البوكر وهي التي تستند

في جميعها الى المهارة والبراعة. فقد يسعد الحظ مبتدئاً في تلك اللعبة فيلقي بين يديه بكل الاوراق الراجعة. وهكذا الشأن في كل لعبة تصد بها الى التسلية الحظ.

ولا كذلك الحال في الشطرنج. ومن ثم فان المهزم فيها ان تجد له عاذراً او راحاً والمهزم في الشطرنج يبيت الليل نزرقة الحلى وهو يتقلب على فراشه ولا يعرف لغزاً سبيلاً. ثم يبقى على تلك الحال اسبوعاً او اكثر من اسبوع. وهو يتذكر كل تحريكة قام بها قاهره. بل قد يتذكر تذكراً تحاطه مرارة هي الملقم او امر اغلظه واخطاه التي اقترنها وهو يسرف على نفسه باللام فيقول: ليتني لم اتخذ خطة الدفاع التي لم تكن خطة سليمة. او يقول: لو تحصنت قبل فوات الان كان لكان اسلم واحيي. وهكذا ولكنه في كل هذا لا يجد لنفسه عذراً. ولا يلوم الا نفسه. وليس لمثل هذه الغزلة الروحية قد خلق الناس.

ولهذا كان «تابلين» اذا لاحت لسينه برادر الفرقة قلبدقة الشطرنج في خفة ورشاقة. وحساً ما كان يفضل الامبراطور فان في انهزامه ما يقوض دعائم النظام. وليس يليق ان يسبح لضابط صغير مغبور مثلاً ان يهزم قائده.

وقد قال بطل «اوسترلر» مرة: «لست رجلاً عادياً حكاما الرجال وان قوانين الياقة وقواعد الكياسة لم تصنع من اجلي». وكان يمشي يسود نجه نقه لا حد لها فكان اذا تهدته الفرقة التي - كما قدما - بقطع الشطرنج في جرأة واقدام.

وانعلم الصواب حقاً ان تلعب هذه اللعبة بواسطة الاجزء والآلات وهذا ما يغتر لنا صيحة الفرح البالغ التي حيث بها اودوا عام ١٨٧٥ لاعب الشطرنج «الاوتوماتيكي» الذي صنعه (كيلن) فقد كان يزق الشخص الاوتوماتيكي وهو لابس ملابس الترك ويوضع خلف صندوق. ثم يجي. العارض وهو المائي. كان موسيقياً. وكان حفرق آلات موسيقية واحة «ميتسل».

يفتح هذا الصندوق ويعرض جهازه. وهو مجموعة معتدتين الاسلاك. والزئير كات. والتروس. والبيلات.

ويدو ان الشخص الاوتوماتيكي كان لاعباً ماهراً. فكان وهو البادي في ذي تركي يهزم خصومه الا قليلاً منهم.

وانقسم الناس في امر هذه اللعبة فسين. فقال قائل منهم ان في الصندوق رجلاً قبيحاً. وقال آخر. انما هذا الجهاز مخبأ اعد ليختمني فيه لاعب آدمي. وكلا الرأيين يمشل الصدق.

ولكن لا مفر من القول ان كيلن كان على اية حال من الذين

المشوق في الأدب

بنام عيسى سبأ

وقال العباس بن الأحنف :

أناذنون لسبب في زيارتكم
لا يثير الشوق أن طال الجلوس به
فندكم شهورات السمع والبر
عف الضير ولكن فاسق النظر

ومجمل ما ينقله لنا الرواة في عشق جميل لبثينة، أن جيلاً قبل
يوماً بأبله حتى أوردتها « وادي بفيض » فاضطجع وأرسل إليه مصعدة
وأهل بثينة بذيل الوادي ، فأقبلت بثينة وجارة لها وأردتين ماء ،
فقرأ بفصائل جميل ، فضرتهن بثينة وكانت حينئذ جارية لم تدرك
فحبها جميل فدرت عليه ، فلعن إليه سبأها وفي ذلك يقول :

وأول لما قاد للودع بيننا
يوادي بفيض يا بين سبأ
فقلنا قولا فجات يله
لكل كلام يا بين جواب

ولم يجر بعد ذلك حتى جذبت عن الطوق وصارت شابة ،
وكان هذا في يوم عيد ففرقت من نفسه موقفاً حسناً ، فخطبها فرداً ،
لأن العرب كانت تستهين أن تزوج من جرى بينها عشق . وروي
أن شيئاً آخر بثينة رأى جيلاً عندها قريب عليه وآذاه . وحدث أن
شيئاً جاء مكة وجعل فيها قتيلاً له : دونك شيئاً فخذ
بثارك منه فأنشد :

وقالوا يا جيل أتى اغرماً . فقلت أتى الحبيب اغر الحبيب

وقد تأخّر العاشق سكرة عن نفسه فينسى ما حل به من ألم
أو ما ألجأه إلى أذى المحبوب كما جرى لعمر بن أبي ربيعة وقد
حدث من نفسه قال : « كنت بين امرأتين هذه تماروني وهذه
تمضي فاشعرت بضعة هذه من لذة تلك . وقد يبالغ العاشق في ما
يؤمن أو يقول ، فيجري الحقيقة على غير ما وقع له ، يريد بذلك
تصوير شدة تقيسه وتدلّه كما يوحى إليها بيت شبان العذري :

لو حُرّ البلف داسي في مجنأ لطاف جوي سرياً فخرها داسي

ونفهم من الذين أخذوا بدراسة أحوال العاشق وخبروا نفسيته
أنهم قد حددوا المشق بقرنهم : هو نهاية درجات المحبة ، ويجب المحب
بمحبه ، والأفراط فيه يكون في عاف وهو أصح ، وفي دماره
وهو أقبح ، وفي عي الحس عن أدراك عيوب المشوق . وقد يكون
مرعاً وسواسياً يحلبه إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض

العش

صورة من صور الأدب العربي الرائع ، فيه سحر وفيه
افتان ، وطبائفة يجسها القلب ويرتج اليها الحاطر ،
وانك ما تقع على كتاب احب ، إلا رأيت فيه جملة صالحة منه ،
تقف أمامها مأخوذ الفؤاد ، مجذوب الحاطر إلى ما تقرأ من حوادث
العاشق ، فيطربك قوله ، ويعجبك عفاه ، ويستويك خياله .
والشاعر عراقي ، رقيق كهنه التسم أو احلى ، ما دام عباً شاعراً ،
أو ما يطربك قول بكسر ين السطاح وهو اشعر أهل النزل بشهادة
إبي هفان وقد أنشد قوله :

أدانا مشر الشعراء قوماً
إذا انبشت قرأنا أتبنا
بالسبا نضمت القلوب
بأفوال تنقّ لها الجيوب

وفي المشق كتب غير واحد من الأدباء القداسي كأمين عبد ربه
وإبن تينية والجاحظ والأصفهاني والأبشيبي والبراج وغيرهم كثير .
ويؤخذ من القوامع أن الأعراب ما كانوا يجرمون في المشق ربيعة
ولا تتمده إلى سوى الضمة والفزة والقلبة ، وقد حدث الأصمعي
قال : « قلت لأعرابياً ما تدون المشق فيكم » قالت : « الضمة
والفزة والقلبة » ثم أنشأت تقول :

يا احب الالفية وغز كف وحسد

وقيل لأعرابي وقد زفت عشيقته على ابن عم لها ، أيسرك أن
تظفر بها الليلة قال : نعم والذي امتني بجها وشقاقي بطلها .
فقيل له : وما كنت صانئاً بها ؟ قال : كنت أطيع الحب في لثما
وأصعي الشيطان في لثما ولا أفسد عشق عشرين سنة يا بيتي فدمع
عاده ويشتر قبيح أخباره »

وما يدلنا على صدق هذا الزعم ما أنشد بعض بني كلب :
إن أكن طامع الحافظ فاني
والذي يملك الفؤاد ماني

رجل وامرأة . انما هي سم نافع . وانما هي سوسة قارضة أكلت ولقا هي
محدد مدر دهم . واذا قيس إلى الحشيش عد هذا لبة أو قطعة من
الحلوى . والشرنخ يفرى ذات الحد . وربة القصر المشيد ، فنترك
خدرها وتنق قصرها . بل تنق واجبات الولاء . ولبة الشرنخ لو
عرضت لاشمط راحب لانتهم مسوح وزاره والمته عن ورعه وتقواه .

مبارك إبراهيم القاهرة

اسدوا الحيد للناس كلهم . ذلك لانه قد حوّل عراك شيطاني إلى عراك
أدبي . وهو باختراقه الصادر من عبقرية وكذا قد استل من لبة
الشرنخ وغزتها السامة . وذلك أيضاً لأن كلنا من كان قد لا يرى
بأساً في أن تغلبه على أمره آلة ميكانيكية دون أن يلمسه عار المزعمة .
وقد لا شري بآليون هذه اللمسة أو هذا اللون من الدنيا . وفطره رها .
ولعلم القلاء أن لبة الشرنخ بين جليل . واخلط من هذا بين

الصور، وقال جاحظ: «المنشئ اسم لا فضل عن المحبة كما كان السرف اسم لما جاوز الجوى». وقيل: «أول المنشئ النظر وأول الحريق الشرر». وكان الأعرابي الماشق يشق برقع حبيته، والمرأة تشق رداء حبيها وفي المائدة أنها إذا لم يفضل ذلك عرض البض ينهها وقد انشد صديقي الحساس. ولم قد شفتنا من رداء مجر ومن برقع عن قلة يد عانس إذا شق برد شق بالبرد برقع من الحب حق كما غير لابس ويذهب ابن فارس إلى أن العشق هو الترام بالنساء، وذهب غيره إلى أن العشق لا يعرض لتليظ الطبع ولا لقاسد المزاج ووضع المحبة، وقيل لأعرابي ما بلغ من حبك فلانة قال: «إني لا أنكرها وبيني وبينها عتبة الطائف فاجد من ذكرها برائحة المسك». وفي جميع السلوك: «إن بداية المحبة الموافقة ثم الميل ثم المزاينة ثم المودة ثم الموى ثم المحبة ثم الشغف ثم التيمم ثم الوله ثم العشق». وجاء في كليات أبي البقاء: «إن أول مراتب الحب الموى ثم الملاقة ثم الكلف ثم الشغف والمروة واللاحق مثل الشغف ثم التيمم ثم التبل ثم الوله ثم الميام». وكان العرب في جاهليتهم إذا وصفا حبيبة ذكروا من محاسنها ما يملكون وما تطوي عليه قلوبهم. من ذلك قول الشنفرى:

أرى أم حمرز أمنت فاستقلت وما ودعت حبرافا فأنزلت
فدلت وحلت واسبركت وأكملت فلو عن إنسان من الحسن جنت

وقول امرئ القيس:

اغرك مني أن حبك قاسي وأنت معا قاري القلب بيني
وما ذرفت عينك إلا لتضري بسبك في إنيار قلب مقل

وانك لقدى كثيراً من صور الوصف المتأني عن العشق في ما

أزعم من ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

كبداء ميلة وركاء مدبرة قودا فيها إذا استرشتها غضع

وقول الأفره الأزدي:

سود غدا لما بلغ حاجرهما كأن المرافم لما اختل الغنف

وقول أبي صخر الهذلي:

ونك ميلة خرد ميلة سفراء ديلة في منصب من

عذب ميلة جذل غنفلها كالدهن اسفيا مخضوة الدم

حل ميلة يني ترابها محض صرايا ميتة من الكرم

وقال الجنون:

قالت جنت على ذكرى غفلت لها الحب اعظم مما للجناين

الحب ليس يبق الدهر صاحبه ولما يسرع للجنون في الحين

وكثيراً ما ترى العاشق يستبد أحولت عمله في الإفصاح عما يحول

في جمع قلبه من ذلك ما نراه في شعر الأخشى الحداد قال:

مطارق الشرق منها في الحشاير يارقرن سندان قلب حشوه النكر
ونار كور النوى في الجهم موقده ومجدد الحب لا يبني ولا يند

وعن مسعود الوراق أنه قال لجنون شاعر كان عنده عقيل انه

قد خوطب في عقله لتقده ابنة عم كان يمشيها، أجر هذا البيت:
وما الحب إلا شلة مدحت جا جيون لها بالهظ بين الجوانح
فقال على المكان:

ولاد الموى تقى وفي التلبغها كفضل الذي جادت به كفتادح

ومن لطيف ما يروى عن رجل اسمه زهدم من بني عذرة، كان

يدعى العشق وهو بدين أكرول قد صلب جيلاً فقال فيه:

وقد رايني من زهدم إن زهدم يشد حل خيزي ويبيك حل محم

فلو كنت عذري الملاقة لم تكن سيناً وإنساك الموى كثرة الأكل

وزي أن الأدباء قد أخذوا بذهب العشق عن العرب الذين

كثيراً ما أوصوا به. فقد قيل أن سليمان بن عمرو قال لأدباء كانوا

معه، أنتم أدباء، وقد سمعت الحكمة ولكم حياء ونعم فهل فيكم

عاشق؟ قالوا: لا. قال: اعتشوا فإن العشق يطلق اللسان ويفتح

جيلة البليد والبخل ويميت على التلطف وتحسين اللباس، وتطبيب

المطمح، ويدمر إلى الحركة والذكاء، وكثير المصبة.

وفي أمثالهم: «إذا دخلت أرض الحبيب فهوول» أي أسرع في

مرورك لتلا تفتك نفاذه بجملتهن، والحبيب موضع في البين

يوصف بحسن النساء، وقال أحمد بن محيي:

موى نافع خلني وقدماي الموى والي وإياها لمختلفان

موى حياقي ونعم زمامي كبري سري بعد العدو يائي

نحن الجاهلون أمنا لينة وأنا على البلى لمصطبران

وقد قالوا أن ذنب العاشق على غير رية مغفور، فتنطش قلوب

العاشق في افتاء الفتح بن خاقان ما يهدى الزرع ويبت صلي

الراحة قال:

إيا العاشق الغضب صرا فطابا اني الموى منورة

زفرة في الموى أحط الغضب من غزاة ونجسة مبرورة

هذه المأمة عن صور العشق في الأدب العربي وهو على كثرة

في مطلق الجامع، لا ترى من تجرد لدراسه غير الدكتور زكي

مبارك في مصر ذهب فيه مذاهب قد يؤاخذ عليها، والعشيق على

جلال موضوعه وما فيه من الصور والأخيلة والرقعة ما يثبت على

دماثة الأخلاق وتلين الرسكة وملاحظات قد يفاد منها طلاب

علم النفس عدا ما يجد فيه دارسوه من تذوق للجمال وانتصاب

للانطالق. وقد ألف به الامام ابن حزم الاندلسي في كتابه «مصارف العشاق»

وأخبرهم على ما اظن الانطاكي في كتابه «تزيين الاسواق»

وحامه العشاقين وتأليهم خيراً لما تركوا لنا من معين ادبهم وأخبارهم.

عيسى صفايلى

ماتاهاري

الشیطان الذي كان يسكن جسد امرأة

مقدمة

الاساط الفنية والبورجوازية في باريس ، في ربيع سنة ١٩٠٠ ، اسم راقصة ظهرت للمرة الاولى على مسرح غيبه فلفتت الانظار وانتزعت الاعجاب برقصاتها الشرقية الجريئة . . وكان اسم هذه الراقصة غريباً وموسيقياً ، فكان المصحبون يهاكموا اكثرهم ، يرددونه في شيء كثير من التملق والحيل . لقد كانت تسمى ماتاهاري . . فن هي ماتاهاري هذه التي كان الناس يتحدثون عن جمالها الكثير وسحرها الخلاب ؟ أم هي اميرة هندية حقاً ؟ أم هي من سلالة الفراعنة المصريين ؟ أم هي فتاة جميلة لا اكثر ولا اقل ، جاءت من قطر مجهول وسما هذه الاسطورة التي تبنتها الصحافة وطلبت لها كثيراً ؟

مها يسكن من امر فان هذه المرأة التي كانت تعرف جميع اللغات الحية ، حتى اللغة اللاتينية ، قد فرضت نفسها على الباريسيين فرضاً با رافق ظهورها على المسرح من جو اسطوري ، وما نشر حولها من دعاية واسعة ، فكان الجمهور الذي يقبل لمشاهدتها يتكاثر يوماً بعد آخر ، وفي كل يوم كان يزداد بها إعجاباً ولها حماساً . . ولكن هل كانت ماتاهاري جميلة حقاً ؟ ان اولئك الذين تثيرهم رقة المرأة وظهرها وانوثتها الساحرة وعذوبتها الحسية ، لم تكن ماتاهاري لتثير في نفوسهم أية عاطفة . غير ان هوة الجمال الشاذ كلوا يؤخذون بوجهها المستطيل الشاحب الذي تتألق فيه أسنان ناعمة البياض ، وعينان سوداوان حيمتان ، متجهتان ، مائلتان نحو الصدين ، تنفذ نظراتها الى القلوب وتثير فيها الرغبة الجامحة . وقد كان لهذا الجمال عشاق كثيرون

من رجال المال والسياسة ومن رجال الادب أيضاً ، فقاموا جميعاً عند قدمي الراقصة الحسنة ، يقدمون لها قلوبهم وأموالهم . . وكان المال حاجة ملحة لديها ، فهي تنفق بسخاء ، توفعش في ترف باذخ ، وقد استأجرت قصر نوبلي وجعلت منه قصراً من قصور القليلة ليلة ، واحاطته بأجواء تلك القصور ، وكانت تقضي وقتها فيه بين تأنيل الآلة الهندية ، والسيوف المعروفة ذات القبضات العاجية ، والساتر البرتقالي والارجوانية ، وشذا الطيب والبخور يعبق من مجامر الفضة ، ويتناق أحياناً مع رائحة الفايون . . والاميرة الراقصة مستلقية على حيوان شرقي كبير ، بين الوسائد المتعددة الالوان ، كأنها ربة من ربات الهند ، تستقبل عبادها وسدنة هيكلها المقدس . . في ذلك الجو الساحر كانت ماتاهاري تستقبل زائريها وكثيراً ما كانت تدعه ذاهلاً مشدوهاً بين يديها ، وهي مستترقة في حبتها وسهرها ، ثم تنهض فتوقص له بخره ، وليس عليها غير وشاحها الاصفر او الاحمر الشفاف ، ثم تلقي بهذا الرشاح جانباً فتبدو عارية الا من كاسين غاسيتين تغطيان بهديها ، وأساور ذهبية تطوق مصمبيها وكاحليها وتكسر في رقصها المثير حتى يتهالك الرجل عند قدميها ، متوسلاً اليها واعداً ايها با تشاء . وتبري . . ويقول الكاتب الاسباني غوميز كاريو في كتابه : « حياة ماتاهاري وموتها » و« اسرارها » ان في هذه المرأة سحراً عجيبياً كان يسيطر على الرجال الذين يلقون بها ، ويؤكد ان اللواتي يفتنن جمالا كثيرات جداً ، ولكن ليس زين النساء امرأة تستطيع مثله ان تحول الرجال الى عبيد لها .

ماتاهاري الراقصة



على ضفاف نهر الما بار ، وهي تنسب الى ملائكة من طوائف
البرامان ، وان اسمها الحقيقي هو ماتاهاري ويعني « عين النجم » ،
وقد خطت خطواتها الاولى في مبد الاله سيوه فبعل من خطوها
رقصاً موهناً وغدت تجيد الرقص اكثر مما تجيد السير .
وحين قاطعها الحقن قائل :

— كلا، انك لا تدعين ماتاهاري، بل مرغريت جرتود زيل !
اجابت بسذاجة : — كيف عرفتم ذلك ؟

غير اننا ما لبثنا فسرنا ذلك بقولها ان تذكرت هرة مرغريت
زيل هي تذكرتها في العالم المسيحي ، ولكنها في الواقع هندية
يودية ، تشهد بذلك قبيل وجهها الشرقي . واخذت كسر ذلك
بلفظها الثقيل ، فهي تعرف كثيراً من اللغات ولكنها لا تجيد
التكلم في واحدة منها ، وحين تضطرب وتحدث بالغات
الفرنسية والالمانية والايطالية في وقت واحد .

غير ان اثبات هرة ماتاهاري ومعرفة ماضيها لم يبعثا لجنة
التحقيق فقررت ان الراقصة المتهمه هولندية الاصل ، وقد ماتت
امها وعطي في سن الرابعة عشرة ، فأدخلها ابوها الى الدير بقيت
فيه اربع سنوات ثم غادرت عائدة الى المنزل العائلي ، فأعست ان
التت بالكاثين مال ليود فشغل كل منها بالآخر ، وعقد لها
عليه . غير ان الكاثين الشاب كان فراشة تسمى من زهرة الى
زهرة ، فهاجر بينه وانطلق وراء لذته ، وتمزت المرأة عنه بابناتها
نورمان الذي وضه بعد انقضاء سنة واحدة على زواجها .

ثم عاد الزوج الشارد الى المنزل ، واصطبغ بزوجته الشاب ذات
مساء الى البلاط الهولندي ، فأدعتت الحاضرين بجالسها الغريب
وملاحظها الشرقية ، وكان صعباً عليهم ان يصدقوا انها بنت هولندا
التي اشتهرت بنسائها الشرقيات المكتنات . وقالت ماتاهاري
وهي تذكر ذلك الليلة بزهو واعتداد :

— لقد كان الرجال ينظرون الي باعجاب صارخ ، وكانت
النساء يومقني بنظرات حاسدة حاقدة . وشعرت ذلك المساء ،
للمرة الاولى ، بانني لم اخفق لاكون زوجة بروجازية تعيش في كنف
ضابط متقلب الاهواء . وانما خلقت لاكون ملكة !

وابتدا انهما بين الزوج وزوجته ، ولم يكن الضابط ليتزوج
عن ضربها بسوطه . ثم حدثت حادث مؤثر في حياة مرغريت جرتود ،
فان خادماتها اعتاظت منها يوماً فسمت ابنتها نورمان . فاستبد بالام
الشكل حزت شديد ، ولم تنس الصغير نورمان الا عندما وضعت
طفلة سميتها جان .



ماتاهاري

استمر نفوذ ماتاهاري على عشاقها ينمو ويتناغم حتى انفجرت
الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ .

ومرت السنوات الاولى من الحرب سريمة حيناً بطيئة حيناً آخر .
واطلت سنة ١٩١٧ وقد ران على اجليه ركود عام .

وفي الثالث عشر من شهر شباط في تلك السنة ، كبرت الصبغ
نبأ توقيف مرغريت جرتود زيل بتهمة التجسس لحساب الالمان .

وسرعان ما عرف الناس ان هذه المتهمه هي الراقصة ماتاهاري ،
وقد كانت تواصل رئيس الجاسوسية الالمانية في هولندا ، بالمعلومات

المهمة طوال ايام الحرب ، وتوقع رسائلها اليه بهذا الرمز : هـ - ٧١ .
ارسلت ماتاهاري الى سجن سان لازار ، وعهد الى الكاثين

بوشاردون بالتحقيق في قضيتها ، واختارت هي المحامي كلونيت
لدفاع عنها .

وتجددت الاشاعات والاساطير عن منشأ ماتاهاري وعن سيرتها .
ووقفت هي امام المحققين فرمعت انها هندية الاصل ، نشأت

وكانت الحرب سنة ١٩١٤ .

وإذا بإرقامة الحسنا ، تقدمو مرضة متطوعة في جيوش الحلفاء .
وتقول ماتاهاري انها كانت امرأة خاطئة ، فأرادت التكفير
عن خطاياها بجمدة المرض والعناية بالجرحى وبذل نفسها في سبيل
راحتهم وسلامتهم .

والحق انها كانت مرضة مثلى تهرس الليل بطوله وتبذل
الجهد كله لاتقاذ الجرحى الذين يعهد اليها بالعناية بهم ، وقد قضت
اسبوع عدة وهي لا تكاد تنام او تأكل كي تنفرغ للعناية بضابط
روسني يدعى ماروف فقد عينه في إحدى المراكب .

وكان هذا الضابط يردد دون انقطاع :

— ان القدر قد اقول في ضربة قاسية اذا فقدني عيني ، ولكن
الله وضع الى جانبي ملاكاً ، ملاكاً حقيقياً .

بيد ان هذا الملاك كان ينطوي على شيطان رجم ذلك ان
الضابط الذين كانوا يعجبون بانهاري المرضة ، كانوا ينتنون ايضاً
بانهاري المرأة ، المرأة القريبة الساحرة ، وكانوا لا يكتفون ما
تثيره في قلوبهم من عاطفة ، فيقتسم لهم ، وتشجعهم ، وتضرب لهم
الموايد ، وتلاقيهم تحت جناح الليل . وهناك ، بين قفلة واخرى ،
كانت المرأة التي انتفت فن ترويض الرجال ، تنزع من افواه
مقاتليها المخرمات العسكرية والحطط الحربية ، وتبحث بها الى
دائرة التجسس الألمانية . وقد أدى عملها هذا الى ابطاء كثير من
خطط الحلفاء ، والى اياةة الالوف من جنودهم ا

ولم تنكر ماتاهاري صلاتها بولئك الضباط ولكنها زعمت ان
لها ميلاً خاصاً الى ماشرة الجنود والارتقاء في احضانهم . ولم تنكر
ايضاً رقصها عارية في بعض الحفلات الخاصة التي تضم طائفة من
كبار السياسيين ورجال الجيش ولكنها ادعت بانها لم تقم بذلك
لاغراء هؤلاء . وانتزع اسرارهم الحطية ، بل قامت بدافع الفن
الذي نذرت له حياتها .

ولكن عبتا كانت المرأة تحاول دفع الشهوة عنها ، لان جريتها
كانت مؤيدة بالأدلة الصادقة .

وهكذا سبقت ماتاهاري الى امام المحكمة العسكرية لتحاكم
بشنع تهمة توجه الى انسان وهي تهمة التجسس والخيانة العظمى

وعقدت المحكمة العسكرية في باريس في ٢١ نوزسن ١٩١٧ ،

برئاسة الكولونيل سامبون لانظر في هذه القضية الحطية التي اثار

الفرنسيين وشملت الرأي العام في العالم كله .

ودفعت ماتاهاري تهمة الخيانة بقولها انها ليست فرنسية ، فاذا

وحينئذ عين الزوج في جافا ، ورحلت الاسرة الصغيرة الى
الهند ، واستقر الكابتن هناك في الثرب ولعب القمار بكثيراً
ما كان يضرب زوجته حين تأبى الذهاب الى احد اصدقائه
لتقوض له المال .

ويقول لها الزوج يوماً وهو يضحك ضحكة سكير ادمن .
— اني لا املك شيئاً من المال . وانت جبة وفي استطاعتك
ان تجدي عشاقاً كثيرين . وانا لست غيوراً . كل ما اريده منك
ان تأتيني بلال .

وتأبى المرأة الانزلاق في منجر التواني ، وتأخذ ابتها وتترقب
ولكن الى اين ؟ ان اهله لا يستطيعون مساعدتها ، وهي لا تحسن
مهنة تحنوها . فينصها قريب لها بأن تستل ميلها التطوي الى
الرقص وتذكر المرأة . لقد كانت تعجب بالرقص الديسي في
المعابد الهندية ، وترقب الرقصات باهتة ، فاصح في يومها لتقليدهن
وحفظت جميع طقوسهن وتقليدهن . وان ملاعبها الشرقية تساعدها
على الظهور بمظهر امرأة هندية خليقة بان تفتن الجاهل ويوسوس التلويح .
وهكذا تضافرت العوامل كلها على ان تدفع بها في هذا الطريق .
فاذا بمرغريت جرتود زيل تقدمو ماتاهاري الراقصة الهندية المقدسة !

ماتاهاري يوم التي ادين عليها



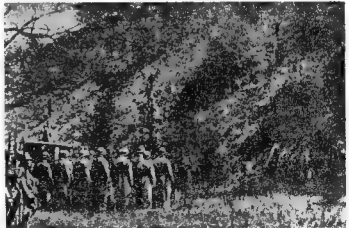
صح انها اساءت الى الفرنسيين فان اساءتها لم تكن موجة الى وطنها ومواطنيها . وتحدثت بلهجة المفكرين المثاليين فقالت انها امرأة لا وطن لها غير الفن والفن عالمي القعة . كأن التوبة والتجسس فناً ومهرح كثير من الفضوليين لسباع اقوال المنهية ، ولكن رئاسة المحكمة لم تسح لهم بالدخول الى القاعة ، وكثرت اجراء المحاكمة سرأ . فلم يطلع احد على ما قيل فيها الا من خلال التقرير الرسمي الذي حرره القومندان ماسارد ونشر فيما بعد .

وفي هذا التقرير ان ماتهاري قد روت للقضاء سيرة حياتها منذ نشأتها حتى احراقها فن الرقص . وقد اعترفت بانها كانت بغياً ولكنها انكرت انها كانت جاسوسة ، واصرت على الانكار بقوة . وحين ادهنتها الرئيس باستنائه قالت انه سبق لها ان عرضت خدماتها على رئيس دائرة التجسس الفرنسية اذ قال الرئيس :

— نعم . قد اتقوت على الكاتبين لودو اذغاب الى بليجيكا لاعطاء المعلومات الشفوية او التعمرية لملائنا هناك . فاعطاك رئيس دائرة التجسس الفرنسية رسالة تسليها الى احد عملائنا في بروكسيل ، فلم يسلم هذا العميل الرسالة الموجة اليه ، بل قبضت عليه السلطة الألمانية واعدمته .

وحاولت المحكمة احصاء الاشخاص العسكريين الذين اتصلت ماتهاري بهم . وانتزعت منهم اسرارهم ؟ قالوا هلاك ضباط وطيارون من جميع الرتب ، وموظفون كبار ، واحم وزراء الحرية الفرنسية ؛ ولم يشأ القومندان ماسارد ذكر اسماء هؤلاء الاشخاص

احدام ماتهاري



في التقرير الذي نشر عن هذه المحاكمة ا
وحيث قيل للتمهنة انها كانت تقيم في فندق ريتز بمجريد ، في الجناح الملاصق جناح رئيس دائرة التجسس الألمانية ، وانسه قد زارها غير مرة وشاهده مرة وهو يعطيها المأوى لتذكر ذلك وقالت ان هذا طبيعي لانه كان عشيقها ، ورددت قولها مرة اخرى :
— بني ؟ نعم ! اما جاسوسة ، فلا . ا
فقال الرئيس ساميرون :

— ان هذا الشاقي قد ابرق الى زميله في استقدام لاعطائنا عشرين الف مارك ، ومن الصعب الاعتقاد بان الحكومة الألمانية كانت تدفع ذلك المبلغ مقابل المتع التي ينعم بها موظفوها لا مقابل خدمات رسمية تؤدي لدائرة التجسس ا

وجوبت اخيراً بالادلة التي لا يدحض . بتلك الرسائل التي كانت ترسلها الى دائرة التجسس الألمانية بنو قيع ٥ - ٢١ والتي وقع بعضها في ايدي دائرة التجسس الفرنسية . فلم ترد على القول ماها ليست فرنسية ، ولم تكن وطنياً ، لانها امرأة لا وطن لها .

وتبعد استماع الشهود ، وكان بينهم سفراء ووزراء سابقون وشخصيات مدنية وعسكرية كبيرة ، وجماع اقوال الدفاع ، اختلت هيئة المحكمة وقررت بالايجاب ، اعدام مرغريت جروتود زيل المسماة ماتهاري بجرمة التجسس . لمصاحبة العدو واعطائه معلومات ادت الى قتل عدد كبير من الجنود الفرنسيين .

فأبست ماتهاري ابتسامه شاحبة ، واهيدت الى السجن في انتظار الموعد الذي سيعلن لتنفيذ الحكم .

ولم تفارقها هذه الابتسامه الشاحبة بعد ذلك ابداً . . وترغم المصادر التي رجعت اليها ، ان السجينتين اللتين عهد اليها بالسهر عليها ، والراحتين اللتين كانتا حنانياتهما ، قد شاهدنها في الليلة السابقة لاعدامها ، تجلج تجليها ، وترقص امامهن عارية . . وقالت احدي الراهبتين وهي تقص الثبا :

— لقد شاهدت شيطاناً يرقص ويتواى ، ان ماتهاري ليست الا شيطاناً في جسد امرأة . وفي صباح اليوم التالي ، وهو اليوم الخامس عشر من كرين الاول سنة ١٩١٧ ، اعدم ذلك الشيطان الذي كان يسكن جسد امرأة ا .

لأزمن الطويل . وتحتاج الجسد الناحل المتداعي رعدة خافقة . وكشد يده على دقتر المذكرات الشاوي بين مزق الغلاف ، وتتطامن في اعناق نفسه الشاعر ، ويتبلبل فوق مقعده متضائلاً ، ويرسل آهة طربية .

عامان . . منذ التي هذا الدقتر في ذلك الدرج المظلم المتيق ، عامان حافلان بالوان المذاب . والآن اعود لتدوين حياتي ؟ هل يدون حياته من يحيها ؟ لقد آن لامواج الذكريات الصاعدة ان تنحسر من شاطئ . هذه الحياة النافذة البائرة . آن للاشباح المذبذبة وروحي ، ان تغير مواها ، ان تترك رأسي المسكين ، الى هذه الورقيات البالية ، المثيرة . ساحكم عليك ايها الاشباح المروعة بالسجن مدى الحياة ، بين هذه الاسطر ، وراء هذه القضبان سي هذا السجن المظلم من الذكريات . .

ويتناول قله - مفتاح السجن - ويتنظر ، الابواب كلها موصدة ، وليس يبدو على الورقة حرف واحد ، البسده حمل شاق ، ويتنظر من خلال الستائر المسدلة ، ويستوحي المساء ، ولكن افكاره مبعثرة شاردة ، والقلم سهوان واجم بين اصابعه ، ويتنظر ثم ينهض ليدير اسطوانة على الحاكي ويتشي بين اثاث غرفته الضيقة .

هاه ، هذه البقية الباقية من الشذرات الحائية ، وفات النور على سطوح المباني ، والمساء القاتم قتامة الحياة ، يطن احتضار النهار ، احتضار الشمس الذابذة في احضان القفر البعيد ، والظلال المظلمة ترحف على الدنيا ، تطوي في حفاهاكل شيء . ومع اتفاس المساء تدخل هذه الاشباح المروعة من خصاص النافذة من شقوق الباب ، من خلل الستائر ، انه العدم يرف بجناحيه فوق العالم ، كهذا الروح الرقيق الحائر يرفرف في عالمي الصغير - روح « شيرت » البائس المسكين ، ومزوفته التي لم تنته ، الحياة التي لم تنته ، قضيف الى الظلال ظلالا قاتمة ، هادئة ، ظلالا وهوداً . للقلب الجريح . ايها الشعثان المتأججتان في الوجه البدين الحبيب ، ايها الشعثان

التليظتان ، وخصلة الشعر السوداء . المسبلة على الجبين الوضي . ايها العزيز « براك » ، انك كنتنض من بين الظلال التي ارتدتها لتتلك الجريح ، من اعماق الهدوء الذي كضفت من اجله طوال الحياة ، وذلك الشيخ المسن برأسه الناصع ولحيته البيضاء . يتكى على كتفك ويس بصوت « هغو » الحالم : الاسى لقدم السعادة ، هاهاهاه ماذا يقول هؤلاء الحالمون الشائخون ، الاسى ؟ اي اسى فظلي ، والسعادة ؟ اي سعادة ، اسى الحياة كاهها ، كقيدم فقط ، قيديم للسعادة النافذة ، سعادة العدم ، سعادة الايد ، سعادة القبر المظلم المتيق ، آه ايها السادر في الظلمة ، ايها الضارب في اليبدا . ايها التابع خيالك ، التي مشطك يا صديقي ، الله ، ان عينك اعتادت الظلام .

- عيناى اعتادت الظلام ؟ نعم . - الى اين تقودك قدماك ؟ - قدماى ؟ لا ادري . الى ما مكان . انا اددور فقط في

هذه اليبدا . ولعلني اذهب . الى الحاكي ، الى الحياة غير المتينة ، الى روح شورت المسكين العظيم ، انقذه من غمز الابرّة اللعينة القاسية . . .

ويقف الاستاذ اكرم واجاً

وسط ييدائه الصغيرة ، بين الكرسي

الحشوي والسرير الحديدي والكعب

المبعدة على الارض والجرائد

المركومة على المضدنة . تتلاشى في ذهنه بقية من لحن ثم يحطو نحو النافذة ، وزين الستارة الزرقاء ، ويتنظر الى البيوت الصغيرة المتراصة في الرقاق الضيق .

قبور الاحياء ، في كل مكان ، الظلام يعيش فيها ابدأ ، الظلام البارد المتيق ، كما يعيش في صدري ايها التائه في القفر ، التي مشطك ، الله يا صديقي . الطريق واضح رغم حلوكة ، واضح ليس سوى العدم في نهايته ، السعادة الابدية ، لك كل ذلك يا

صديقي ، ايها التائه في القفر ، مع عصاك المزيبة المقعدة المنجوعة من احداث الماضي .

وتحتاج الجسد الناحل المتداعي

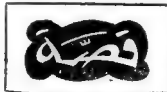
رعدة اخرى . الماضي ؟ هاه ، وهل من

ماض لمن لا حاضر له ؟ مجرد فكرة



بسم عبد الملك نوري

خ



طافية على بحر الوجود، بصقة جامدة في وجه الحليقة ، جزيرة منبجعة من غيب الجبول . آه ، كان في تلك الجزيرة بركان نابض بالحياة ، انبثته امرأة . ذلك كان كل الماضي . والآن ذبعت المرأة ، وخذ البركان . لم يبق شيء . لا جذوة تحت الرماد . كل شيء ماضى رماداً . تقبور ورماد ، في الظلام الابدي العميق ، ها ها ها ها ، السعادة الابدية ، سعادة العدم ، فرح الافراح ..

وتحار في حينه صمتان ، وتضغط يده على زر الصباح القاتم فوق المنضدة . ويتساول دقة المذكرات ، ويتصفحه بنظرات شاردة ، فتقع عيناه على خاتمها دون من سطور : « ايه .. ايتها المرأة - العين الدافقة بالحرارة الازلية . كلما نهلت منك ، ازدحت ظناً اليك - وكلما دونت منك ، ازدحت بعداً عنك . وداعاً ايتها العين ، وداعاً . انا ابدأ سادراً في بيدائي المحرقة ، وحيداً ، حتى يلاشي الظلمة حيائي البازغة » .

ورقة الحريف ، حيائي البازغة ، حيائي الفارغة ، هذا الظلمة القتال للعين الازلية . للغمرة الدافقة .. لم يقتلني بعد ؟ هل بقي شيئاً مني ؟ فضلة مني ؟ قالة فقط ؟ آه رماد ، بل بقايا رماد . ايتها المرأة ، ايتها المحرقة الشريرة ، اظفارك المنطقية بدما . قني ، كبت ابدأ بهذا الرماد ، بقايا الرماد ، البك عني ، ايها الشبح الخفيف ، انا اريد الخلاص النهائي . الخلاص منك ، الخلاص الحاسم السريع ، بانسكار ارادة الحياة ذاتها انسكاراً سريعاً . كسلح الحق ، ينبت من لبيب الألم المظهر .

ويسرعة الحق يتدفع الاستاذ اكوم الى خارج غرفته ، باحثاً عن « الخلاص » في ظلام الطرقات .

ويهم الاستاذ شحراً من نصف ساعة ، منطلقاً من زقاق الى زقاق ومن شارع الى شارع ومن رصيف الى رصيف ، فيصاود نفسه بعض الهدوء ، وتجرب ثورته ، وتثقل خطاه ، وبأخذها لحظة يحيطه بعين مدركة وذهن صاح .

عميق هذا السكون . والليل المظلم يحوس صامتاً كشبح غيو مرئي ، يلف يوشاحه الاشجار والنباتي والحقول الخضراء .. الى آخر هذا الطريق ، ثم يتحد مع النهر لتتم اغانيه الساحرة الى البحر الصاخب اللجي . آه ، ايها الليل ما اعمقك ، ايها الليل الشاهر الزاخر بالالم والحلم والفرات . في هدوئك العميق يهوس الهجون قلوبهم كيوبد ، ذلك الصبي المراهق يفتن باجنحة في كل مكان ، ويضم الاجة شديداً الى قلبه الدافئ . الحنون . آه كان لي ذلك يوماً ، ذلك الدف ، ذلك العالم الشرقي اللذيذ . كنت احسه

بكل جزئية من كيانني ، بين ذراعيا ، في احضانها ، يوم كانت كل شيء . لدي ، اوه ، ذلك ايضاً قد يتصور انها كل شيء . لديه ، ذلك المتوه الذي يعانق فتاته خلسة ، انه يحيرها الى الظلال القاتمة المظلمة ، كالصوص . وقد يظن انه سيوت المأ اذا ما عسبت في وجهه ، ها ها ها ها ولكنتي لم امث ، انا حي ، انشقت ارج الحياة بل . رثتي ، اف اف ، وهذا التراب الذي تتبره سيارة متوه آخر يحتضن امرأة .. آه كيوبد ، انك في كل مكان . وحتى هذه الاعين المضادة في جهات الدور ، قد اسبلت عليها يدك الحبيشان اجفانها الكثة . آه ، يا لبن ، من يدري كم من الاجة يتعانق وراء هذه الستائر المسدلة . كم من زوج يداعب زوجته ، كم من بقلة تقطف وتذبل وتوت في هنية صغيرة ، كم من صدر يطلق تبيدات الحب ، كم من متوه يتوسد صدر امراته ، كم من يد يوحشها التل في ثلمات شعر الحبيب . وكم من عين تومض حبا ونشوة وحياة . آه ، كان لي كل ذلك حينا ، الحب والحياة والنشوة الخالدة . اين ذهب كل هذا ؟ اين الش الذي حبسته ، الحياة التي انشأتها ، المرأة التي احببتها ؟ لم تداعي كل ذلك وانهار ؟ ايتها اليدان المبرمتان ، الشريكتان ، لقد قضيتا على كل شيء ، لم يعد لي حيائي شيء ..

ويحقق ملياً في يديه الرامنتين ، بعينين مغلقتين ، وقر انبسامه مريرة على شفتيه ، وتتناقب في ذهنه فصول من ماضيه :

- اليوم قنظ جداً ، اكرم - نعم ، حبيبي .
- اريد .. - قبله قبل اموالك ؟
- قبله وشيئاً آخر .. - هاك القبله ، الآن .
- اوه ، عضضت شفتي . هذه ستشفيها .
- كانت لذيدة حقاً . والآن ساسي ، ما هو الش ، الآخر ؟
- اوه ، فقط اردت ان اتخلص من هذه الجوارب ، فهل لا تزال .. ام ؟

- ماذا ؟ - اما توافق ان اخلعها ؟
- لا ادري - ولكن كل النساء يخلعن في الصيف .
- اذن لم تقبلين مثل كل النساء .
- اوه ، فريدي ، حبيبي .
وفي ظلام الليل تهس في اذنه :

- اذن مني يا حبيبي ، اذن مني ، نعم هكذا ، هكذا ، ضع ذراعيك حولي ، وهبني شفتيك العذبتين . ولا يدنو منها ، تسقط يده صدقة على ساقها المتجرعة العارية وتبدو له عين شريرة تهمة تحقد في تلك الساق ، ومئات من الاشباح والاطيف لتتشب

بزوجہ وثباعہ دینہ وینہما ، فیبتی فی احماق نفسہ شعور مروع
مبہم ، وتذبذبه صرخۃ حادة تدوي فی قلبہ الجریح زماناً طویلاً
« انت غریبة عني .. غریبة .. غریبة .. الیک عني » .
وتخرج سلی بذل : کانت باردة تلك القبة اکرم هات
واحدة اخرى .

ثم تخرج بشدة : وهذه ابرد من تلك ، كما خطبك الليلة ، اکرم ؟
- لا شيء . - بل انک تخفي عني اشياء .
- ابداً . - قل لي الحقيقة اکرم ، فانا لا اخشى الحقيقة .
- اني حقیقة ؟ - هل اصبت قلبي ؟
- فكرة غریبة .
- اخذ ، کیف تقدر جرحک ، انک مجرد جثة الیلة .
- لا ادري ، صدقي ، اني لا ادري .
وبعیه التفسیر ، فیدیر ظهره لزوجته ویحاول النوم ، والصرخة
ما تزال تدوي فی قلبه . « انت غریبة .. غریبة » .

طبقة ودية رقيقة من احمر الشفاء ، تنتشر بلین فوق الشفتین
المكتئبتین ، وقضي دقيقة فی صمت ، تمهیس الشفتان الوردیتان رقة :
- لم تنظر الي هكذا ؟ انک تفكر عني لینک
- احب ان افكرک يا حبيبتی ، احب ان اجعلک قبة واحدة
وانتهی منک .

- اجانب الی هذا الحد ؟ انتظر دقیقین . وسیکون
العشاء جاهزاً .

- انت مثالي يا حبيبتی ، انت طامي الحب الھذیب .
- اوه ، لمست ان اقول لك ان جمیل سیأخذنا الی السینا
بعد العشاء . - کیف طمت ؟ - لقد اخبرتھو .
- متی ؟ - هذا الصباح ، مر خطفاً قبل فضاءہ الی الدائرة .
- كان ايسر له ان یخاطبني من دائرته .
- لقد جاء لیأخذ کتابہ ایضاً ، الا تذكر انه لیسہ ہذا الیلة
الفاتنة ؟ - اني اذكر فقط ، انه اصبح ضیفاً دائماً فی هذا البیت .
- وهل فی هذا ما یضو ، انه صديقك الحمیم .

- آه ، نعم نعم ، بلا شك .

التمر الرضی . یسبح الطریق القفر . سلی مقلقة بسذراہ
تضہا بشدة الی صدرہ الدافی . ، والاستاذ مطروق يتأمل ، وعند
منہ البیت تضطرب شفتاه :

- کانت رواية عظيمة ، حقاً
- القصة بسيطة ، ولكن المثلین عظام .
- الحق ان شارلس یوم یمثل عبقری .
- نعم انی احبه ، احبه جداً ، انه یثقل علی الحصوص الادوار
الطافیة الحارة .

- صحیح . ولكن ماذا قلت الآن ؟ انت تمیینه .
- نعم ، كما تحبه انت وبقية الناس ، امي اکثر من اعجاب .
- ظننت انک تقصرین كلمة « حب » علی فقط .
- حسناً حبيبي ، من الآن فصاعداً .

وعندما تدمو فی ظلام المذبح تبدلہ مئات الاشباح والاطیاف
تحتضنها وتقتشبت بها ، من کل جانب ، ویبدو له شارلس یوم
نفسه یحاول تقيیلها ، فتخالج جسده رعدة باردة ، ویذبذبه شعور
مروع مبہم زماناً طویلاً .

هي تتکلم بجملة ولباقة . فہا الصنایي الصغیر یشرق فتوناً ،
وصیاطھا تومضان بشعاع غریب . کل معارف وجهها الجمیل ، کل
اجزاء جسدها الفانی تتکلم بحیوة واتطلاق . وهي ، بكل کیانها
بكل ما فیها من فتوة وشباب تنجھ نحو جمیل . وجمیل لا یکاد
یبي شیئاً ما حوله ، بل لا یکاد یرى شیئاً فی وجهها ، غیر ذلك
الینوع الفانی الصغیر الدافق بسیل من العبارات الیلة الحنون . .
انه لا یرفع نظره عن فہا ، ولا یکاد یصغي الی شیء من حديثها :
او الی تصف الفرحۃ فی قلب الاستاذ اکرم .

- تطالي حبيتي ، کوني صریحة معي . فلان جمیلاً قد خطبك
قلبي ، فما عسى ان یكون جوابک ؟

- کنت ارفضه ولا شک . - ولكن لماذا ؟ جمیل شاب
ظریف الیق . .

- اوه ، اکرم ، لم تحاول ان تضایقني دائماً . انک تتکلم
كما لو لم تکن تحب بعضنا قبل الزواج .

- لا تقضي حینتی . اردت فقط ان ادا میک .
- لیتک داعبتی بقلۃ ، منذ اعیال لم تغلبي .

- آه ، صحیح ، هاک قیلات . وبعد ذراعی لیحتضنوا یدی
وجهه من وجهها ، ولكنه یحس احساساً غریباً شاذاً ، وقبل ان
تلتصق شفاہها ، بتسل جمیل ، ویلصق شفتیه بالهم الفانی الصغیر
فیهبط ذراعا الزوج الی جانبیه ، ویسبح بوجهه عنها ، وفي اطاق
نفسه تدوي صرخۃ حادة : « انت غریبة عني .. انت غریبة .
انت غریبة » .

عينها دامتان ، وصوتها يوتمش :

- اكرم ، هل ستظل ابداً مجنوناً ؟ - لا ادري .

- الى متى ستعيا في مثل هذا الجحيم ؟ - لا ادري .

- انا لا استطيع ان احب طويلاً هذه الحياة العسة - هذا حق .

- ذرفت من الدمع في هذه الاشهر الثلاثة من زواجنا ،

اكثر مما تذرفه اي امرأة اخرى طوال حياتها .

- صحيح .

- لقد جعلتني امقت الحياة ، وامقت كل شيء ، انا التي كنت

فرحة متقاتلة بالحياة

- نعم .

- لم ورطتني بحبك ، ثم بهذا الزواج بوانت تعلم انك مجنون ؟

- ذلك لاني احبك ، لاني ابدك . - ولكنك تحيل حياتي

الى جحيم .

- انا اعترف . - حسناً ، ما العمل ؟

- اني اري الحل الوحيد هو ان نفترق .

- نفترق ؟ آه .. دائماً هذه الكلمة على لسانك . ذلك بدلا

من ان تفكر في تغيير سلوكك انت الذي تمبدي ، ما ها هاه .

- ارجوك ، لا تطعنني باخلاق عوامتي .

- اكرم ، انت تدهشتي . انت مجنون ، انك قائماً مجنون .

- نعم ، قد اكون .

- انا ذاهبة مع جميل واخه ماري لشقري لما قرب العرس .

- لا بأس ، حبيتي . - الا تأتي معنا ؟

- لا .

ولكنني فكرت ان نتناول الشاء بمذالك في احد المطاعم .

- انا لا احب المطاعم سلى ، انها مزدهمة مزجة . اني

اختبئي في الزحام .

- آه ! لم تجتمع لي يوماً رجاء .

- هل تظنين اني اتعد ذلك ؟ انا فقط اكزه الزحام ، ذلك

من طبيعي .

- ان طبعك المنكر سيسيطر على حياتنا يوماً . - دينا .

- اقضي الباب سلى ، ارجوك اقضي الباب .

- لن افتح

- لا تامليني هكذا ، سلى . اقضي باب الترفة حبيتي .

- آه لا تضايقي ، اذهب ، لا اريد ان اسمع توسلاتك بعد

تلك الاهانات .

- اي اهانت ، سلى ، اقضي الباب ، اسفر لك كل شيء .

- لا كلام بيننا بعد الآن .

- انت مخطئة ، سلى ، انت مخطئة .

- اوه . لا تضرب على الباب . اغرب عني ، لا اريد ان

اوى وجهك بعد الآن .

- بهذا تجزين حيي ؟ - حبك ؟ هه ! حزنك وافسارك السقيمة .

- آه ، سلى ، انا لا اصليح للحياة على هذه الارض ، انا انسان

غير طبيعي ، وان افقه الامور تخرجني من طوري .

- اهدأ جيتي ، اهدأ ، تال ضع رأسك على صدري .

- انك ملاك ، سلى ، اني اطلب اليك شيئاً واحداً فقط .

- اي شيء ، حبيبي ، اي شيء . تريد . اني اضحي حياتي

لكها لجرد ...

- لا ، حبيتي ، لست اريد ان اكلفك شيئاً غالياً كمياتك .

- ماذا تريد اكرم ؟

- حياتي . حياتي فقط ، اريد ان اتخلص منها . انا شقي جداً ،

سلى ، انا اشقى الناس .

- تنبي بمانك تريد الانتحار ؟ - نعم .

- اني انت لا تفكر في مصيري .

- بل انا اريد ذلك من اجلك يا حبيتي كي انقذ حياتك من

وجودي المشؤوم ، انا مصدر الشقاء والكدر في حياتك .

- وانك كذلك مصدر سعادتي . انا احبك ، اكرم ، كيف

استطيع ان احيا بدونك ؟

- اوه ، سلى ، لم لا توافقين ؟ انا لا اخشى الموت من اجلك ،

من اجل راحة قلبك وصفا . حياتك . الموت وحده ينهي جميع

التناقضات .

- اي تناقضات ، تال ، تال حبيبي ، كفى ثورة . هات

هات الشئتين اللتين تلفظان هذه الامور الخفيفة ، ودعي اقطر بينهما

دمي حيي .

- هذه السيارة مزدهمة ، سلى ، فلنتنظر الاخرى .

- لا بأس . - اوه ، هذه ايضاً مزدهمة .

- كل السيارات مزدهمة في هذه الساعة . اكرم . الناس

يعودون الى بيوتهم .

- اذن . - يجب ان نستقل السيارة التالية ، مكافك الامر .

- ولكن الزحام ، الزحام . - وما ضرر الزحام ؟

- انني اختلف في الرحم . لن استطيع ان اخذ نفساً واحداً .
 - انها دقائق مدودة ، اكرم ، لا تصرف كالأطفال .
 - آه ، سلى آه .
 - لم اثر كل تلك الضجة ، اكرم ، لم تسبح من الركاب ؟
 - ولم استحي ؟ - كنت اظنك انساناً خيولاً .
 - صحيح ، ولكني لم استطع ان اضبط نفسي ، ان ذلك
 الوجد قد الصق جسديك بصورة فظيعة ، ومد ذراعهموا ، كحكك .
 - ولكني لم احس بها . - انا احسنت كل شيء .
 - لعله لم يكن سيئاً ، انية ، كما تصور . لقد كانت النيازة
 شديدة الازدحام .
 - رجا ، ولكني لا استطيع ان اخرج وجهه من دماغي ، فاني
 لو انني قد حطمت رأسه .
 - الا يكفي انك قد حطمت حياتي ؟
 - اوه ، ليس في يدي ، ليس في يدي .
 - اكرم ، قود الكتاب جاناً ، حيي ، قم فو ملايك ، انخرج .
 - الى اين ؟ - الى عرس ماري .
 - اليلة ؟ - نعم نيت ؟
 - لم انس فقط ، بل ارتبطت بوجود ايضاً مع صديق .
 - تستطيع ان تجل المودع ، حيي .
 - ليس بقدروري . . . اوه ، اكرم ، دائما تحيي .
 - انا متأسف يا عزيزي ، يجب ان تذهبي بمفردك .
 - نعم ، انا ذاهبة ، انا ذاهبة وحدي . لا اريد ان اعيش في
 عزلة دائمة ، انا لا استطيع ان احبس نفسي مثلك في خزانة كتب .
 اريد ان اذوق كل متع الحياة انا شابة ، انا انسان .
 - حسناً ، حبيبتى ، يمكنك ان تنالي كل متع الحياة ولكن بدون
 حضوري ، انا رجل عزلة ، انا اكرم المجتمع ، انا اخشى الزحام .
 - انت شاذ ، انت مجنون .
 - شاذاً او مجنوناً ، انني لك ليلة سعيدة زاخرة بجمع الحياة ،
 وارجو ان يمينك جميل في الحصول على هذه المتع - متع الحياة
 المجنونة الملونة .
 - جميل افضل منك بكثير . ساراقصه حتى الصباح .
 - ها ها ها ، حتى الصباح ، حتى الصباح ، تعال يا ولد املاً
 كلسي بالويسكي ، اريد ويسكي ، اريد ويسكي . اريد .
 - ولكنك شربت كثيراً ، استاذ .
 - ليس هذا من شأنك ، اريد ويسكي ، قلت اريد ويسكي

حتى الصباح ، نعم حتى الصباح . . . هي ترقص حتى الصباح ،
 انا اشرب حتى الصباح . ها ها ها . هو يشتمها بين ذراعيه . انا
 اعصر هذه الكأس . الكأس الغريزة المذينة ، حتى الصباح ها
 ها ها . لم تنظر الي هكذا ؟
 - انك غل ، استاذ ؟
 - انا لست غللاً ، اذهب من هنا ، اقرب عني . اريد ويسكي
 اريد ويسكي ، لا تنظر الي هكذا ، انك تغترسني بعينيك . اوه .
 انت طعمني ، طعمني المحب المذينة ، احب ان اجعلك لقمة واحدة
 وانتهي منك ، اريد ويسكي .
 - اليك الويسكي ، استاذ .
 - ها ها ها ، قلت اني غل ؟ نعم انا غل . هي ايضاً غلة ، اقم
 لك اقم لك بكل شيء . انما غلة ، بغير الويسكي ، بالحياة ،
 بجمع الحياة ، انما شابة ، انما انسان . اتفهم ؟ انه يطوقها بذراعيه ،
 انه يضغط بصدرة على صدرها ، ويخده على خدها ، ييده على
 خصرها ، اوه انه يضغط ، يضغط يضغط ، النذل ، الوجد ، الخائن .
 - هل اوصلك الى البيت ، استاذ ؟
 - آه ، لا ، لا ، انا املك بيتاً . خذني حيثاً شئت . اناريد ،
 لا شيء ، عجن عجن
 عودي اليه ، اسرعي عودي اليه . لم اتيت الى هنا . انا
 اسألك لم اتيت ؟ اخذي اليه ، لا تلسني ، لا تملقي في . انت
 غريبة . انا لا اعرفك لماذا اتيت ؟ اذهبي الى احضانها ، قمني بالحياة
 بالشباب ، بالام ، اليك عني ، اليك عني ، لا تلسني .
 ويدفعا بقوة ، تقسط على الارض .
 وتلك آخر لحظات حياتها الزوجية .
 لقد دقت الساعة خمساً طلع الصبح وضاحاً ينتفض من المشرق .
 واخذت الديكة تصايح في الارباع البعيدة .
 * * *
 وفي الظلال الممتدة ، يمدق الاستاذ اكرم ثانية في يديه الراشقين
 ويتسل هنيدة وجهاً هي وجهها الجميل ، الصارم ، وشنتها المتكشرتين
 تقولان له ، وتوددان مراراً : « ان طببك المنكر سيحطم حياتنا .
 فيجبنا » : اجل . . اجل . « ونظال شطراً من الطريق يردد
 هذه الكلمة بنوع وبني ، ثم يعود الى عرقته ، حيث يجد في انتظاره
 الظلام ويرد الوحدة واشباحه . » ويخطف دقة المذكرات البالي
 بحركة سريعة ويتدفق به في الدراج الحشوي المظلم ويبتسب بارياح .
 هبر الملك نورسي

وعلاً روحك في قيده حنين المشوق وشجر القريب !
ومن فلك الأرض كم تطلعين خيالك فوق القضاء الرحب
يجوز مدار النجوم ويمن في الانسياب ، عب النيوب !

قلمي ، أين تمضين ؟ فيم اتدقاعك ، من ذا ترين بأفقي التردود
وما هذه ؟ رجفة في كيائك مما تشد عليه القيود ..
تقرّد روحك في سجنه يريد يحطم تلك السدود
ليسو طليقاً خفيف الجناح وراء الزمان ، وراء الحدود !

قلمي ، أين تمضين ؟ من ذا ترين هنالك عب القضاء العظيم ؟
وماذا يشوقك ؟ أم من ينادي ويومس من شرفات السديم
تمر أمامك هذي الحياة مواكب مختلفات الرسوم
قتلون وجهك لا تنظرون وفي مقتليك ظلال الوجوم !

الآنك تيسين في عالم تنساي بعيداً بعيداً مسداه
وفي عمق روحك شوق ملجّح جرح لظناه ، حنيف ظله
تراك هنالك تستلهين السوات سرّ الردى والحياه !
تراك هنالك تستلهين خفايا الوجود وكنه الآله !

الست من الأرض ، فيم انخفافك ؟ فيم انجذابك نحو الامالي ؟
أنكرت في الأرض هول الفناء ، وظلم القضاء ، وجور الهيالي !
تراك افتقدت جمال العدالة فيها ، فمت بأفقي الخيال ..
محرّجة والمأ تشدين الحقيقة في غامضات الهيالي !

أراذك في الأرض سيل الدماء وبعث القوي والزوايا الكبر !
أراذك فيها شقاء الحياة أراذك فيها صراع البشر ؟
أمن صرخات القلوب الدوامي تمض عليها نيوب القدر
تلوذن في لف ضارع بكون تناسي نقي الصور !

بلى ، هي هذي المآسي الكبار تعذب فيك الشعور الرقيق
تنتأين عن واقع رابع الى عالم بقري .. حقيق ..
ويضي خيالك مستغرقاً هنالك بهويته ما يبقى
هو الوم ، ملك الشعري ، للثالي ، سرى الخيال الطليق
توحدته فيه بأشواق الحيارى .. بهذا الحنين العميق !



الالهة فردى عب القضاء طوفانه

نابلس

كومت حقائق دنيا الوردى وممت بأوعام دنيا الخيال
فما ينصّبك الا الرزى وسمر الطيوف وسمر الضلال
متى يا ابنة الوم تستيقظين متى يتجلى عنك هذا الخيال
افيقى ، كفاك ، لقد مال مسراك على واء سراب الزمال

تيسين في ذهلة الخللين بعيداً بأفان كون حبيب

صناعة الموسيقى في الف ليلة وليلة

ترجم من نصار

لبنانية في الآداب

« في الروايات غابا » مثل عربي

أفيرا

يجب علينا ان نتناول الموسيقى لدانها بعد ان ناقشنا كل احوالها الاخرى في « الليالي ». وزي في هذا البحث ناحيتين، اذا اتبنا الطريقة العربية المرضية، اعني الناحيتين النظرية والعملية، اللتين تعطيانا علم الموسيقى وفنهما، اللذين لم يفهما كبار الثقات الذين كتبوا عن « الليالي » الى درجة كبيرة. فقد اهتمك اين، الذي يوضح منظم مسائل، في ذلك الرأي السفيث، الذي يودعه كثيرون، ذلك الرأي التسائل بأن السلم العربي تألف من « تقسم النغمات الى اثلاث »، وقد دون هذا الرأي في كتابه « المصرون المحدثون ». ولا نستطيع ان نلقي كثيراً من اللوم على اكتاف المستشرق العظيم بسبب هذا الخطأ، اذ ارتضاه المتخصصون امثال فلوو Villoteau وفيتس Potts وغيرهما ممن لن اذكر. اما ما كان في ذهن هؤلاء الكتاب جميعاً فهو نظرية « المدرسة المنهجية Systematist Schools » التي لم يستطعوا فيها. فقد وجدت ثلاث مدارس فكرية متباينة في علم الموسيقى خلال الفترة التي تناولتها « الليالي » وكان السلم في جميع الاحوال فيثاغوري الاساس. والمدارس الثلاث هي: (١) المدرسة العربية القديمة (من القرن السابع الى العاشر)، (٢) المدرسيون (شرح الفلسفة الاغريقية) (من القرن التاسع الى الثالث عشر)، (٣) المدرسة المنهجية (من القرن الثالث عشر الى السابع عشر) وخطأ لسين والآخرين في فهم سلم المدرسة الاخيرة واعتبروه « تقباً للثلاث الى اثلاث » على حين كان « الطنين » مقباً بالنسبة الى ثلاث قرات متتالية من ٢١٣ : ٢٥٦ : ٢١٣ و ٢١٣ : ٢١٥ : ٢٢٨٨ :

١٩١١ م. ومع ذلك لا تذكر « الليالي » هذه المدارس، ولا تذكر « اصعب العلوم الرياضية » على صفحاتها النسيبة، اذا قضينا النظر من ادما. « تردد » بأنها تعرف كل ما يتصل بفن الموسيقى. ولذلك ليس من التريب ان يسأل العلماء والفقهاء القينة الفخرو عن جميع العلوم تقريباً لمعرفة علمها الذي افتخرت به، على حين لم تبذل اية محاولة لاختبارها في فن الموسيقى. فمن اذن لنا في حاجة الى تكليف انفسنا مشقة البحث في هذا الموضوع المعقد، اذ لم تناقشه « الليالي » كما قد رأينا، فيا عدا ملاحظات اين.

ولكن النظرية العملية اهممن النظرية العلمية لان مصطلحات هذا الوجه من الموسيقى تظهر في « الليالي » في كثير من صفحات كتاباتها، بل تفوق الصفحات التي تذكر فيها المصطلحات الصفحات الحالية كثرة، بما يعث الاضطراب الى القاري. العربي، وان كانت الترجمات الادوية لا نجحنا في اي مصطلح، لان المترجمين اولوا منظمها تأديلاً مرضياً ان لم يكن حسناً. ولهذا السبب ليس من المبالغة ان نقول ان المشكلة تستمن من التكثير اكثر مما منعت، ذلك الامر الذي دل عليه استحصان بروتون الفخرط لملاحظة واحدة اثارها بائن عن الموضوع، على حين لم يمنع اين هذه المشكلة، التي كان ينبغي ان تدفعه شهرته كفوري الى تناولها، لم يمنحها اين سطوراً واحداً له قبيته.

ومع ذلك ينبغي ان نسل بان المصطلحات الموسيقية للنظرية العملية، كما تظهر في « الليالي »، صعبة على الادراك. ويرجع كثير من الحيرة الى الاستعمال المبهم للانفاظ، ولكن المرء

يستطيع عادة أن يرجع الصعوبات التي يصادفها إلى الأسباب التالية :

(١) ليست العبارات الاصطلاحية متحدة المعنى على الدوام بسبب اختلاف عصور تأليف الحكايات ومواطنها .

(٢) لعل المترجم يستطيع أن يجد الكلمة العربية اللاتقة في تلك الحكايات المترجمة من اللغات الأخرى .

(٣) يجب أيضاً أن نعد جهل الكاتب أو الراوي من أسباب هذه المصطلحات المضطربة .

ولما كان واضحاً النظريات الموسيقية العربية تناولوا الموسيقى منذ قدم الزمن على اللها مؤلفة من قسمين أساسيين : **اللعن** ، و**الايقاع** ، يظهر من المستحسن أن نتبع طريقتهم تلك . وكلمة « **لعن** » هي الكلمة العربية المقابلة لكلمة « **melody** » عادة ، وتسميها « **اليالي** » بهذا المعنى ، وإن كانت منحت كلمتي **القنا** و**المعنى** هذا المعنى في موضوعين . وقسمنا الثاني هو **الايقاع** ، المعروف عادة باسم « **rhythm** » ، وإن لم نسمه « **اليالي** » . وكذلك يمكن أن نشير لكلمة « **ضربت** » و« **حركت** » إلى **الايقاع** .

والموسيقى في « **اليالي** » أما غنائية أو آلية ، كما هو الحال في **الكب** الأخرى . وتسمى « **اليالي** » بكلمة « **صيت** » يعني « **قطعة غنائية** » أما غنائية أو آلية ، وبهذا المعنى يستعملها كتاب **الاعاني** أيضاً . وتطلق كلمة « **القنا** » في اللغة العربية عادة على « **عملية القنا** » و« **الأغنية** » . فهي إذن عامة ، على حين تنطبق الكلمات الخاصة مثل « **الشرقة** » و« **ترتيل** » على « **الأغنية** » **الايقاعية** و« **الأغنية غير الايقاعية** » خاصة . ونقرأ أن **المعنى** « **غنى** » أو « **أشدد** » . ويقال عن « **الآلاتي** » عادة أنه « **ضرب** » أو « **طرب** » أو « **عمل** » أو « **قلب** » آلة هي « **الورد** » في « **اليالي** » عادة .

ولكن يجب أن يعترف المرء بأن استعمال كلمتي « **أشدد** » و« **غنى** » مضطرب في القالب ، وإن افترضت أن الأغنية عامة والاولى خاصة . ويظهر أنهم كانوا يمتنون في بعض الأحيان بين متباينين من الموسيقى الثنائية . ولناخذ مثلاً فقرة من حكاية علي ابن بككار وشمس النهار : « **سرجارية من الجوارى** إن تنني فأخذت **الورد** واصلحته وجسته وضربت به ثم **أشددت** تقول شرراً . **فيديو** في هذه الفقرة أن **الأنشاد** هو **القنا** . ومن ناحية أخرى يقال في نفس الحكاية أن **الجوارى** « **يعنين** » و**يشندن** **الأشعار** ، مما يجعلنا نظن أن **الأنشاد** و**القنا** ، ليسا شيئاً واحداً . وللهرة الثنائية قد نعزو هذا التمازج إلى جهل الكاتب أو الراوي ، أو إهماله .

وكانت الموسيقى العربية في عصر « **اليالي** » الذي يتدقروناً عدة تسبب بحسب سلم معروف كمالها اليوم . وينطبق هذا الوصف على **اللعن** و**الايقاع** كليهما . وكان اللفظ العام الذي يقابل كلمة « **mode** » عند الأوروبيين ، المعنى منه أو **الايقاع** ، هو « **الطريقة** » (**الجمع** : **طرائق**) أو « **الطريقة** » (**الجمع** : **طرق**) . وكان ابن ربي أن كلمة « **طريقة** » أخذت هذا المعنى متأخرة بعد الصور القديمة « **الكلاسيكية** » ولكن استعمالها في كتاب **الاعاني** و**الكب** الأخرى يمارض هذا الرأي ، إذ تطلق هناك على « **الطرق** » **اللعنية** و**الايقاعية** .

ونجدهم يذكرون إحدى وعشرين ، وأربع وعشرين من هذه **الطرائق** أو **الطرق** مؤداة الواحدة بعد الأخرى ، وإن كنا لا نستطيع أن نؤمن : إذا كانوا يشيرون إلى **الطرائق** **اللعنية** أو **الايقاعية** ، إلا في موضع واحد ، في حكاية **اسحاق الموصلي** والتاجر حيث يقال عن إحدى **العتان** « **غنت** **طرقاً** شتي بألحان غريبة » .

ثم لدينا اللفظ الذي يشير إلى الصور الموسيقية ، أي : **النظام** أو **الأسل** ، التي تؤلف وتعرف عليها الموسيقى . يقال لنا إن إحدى **الموسيقىات** **البارعات** « **ضربت** عليه (**الورد**) إحدى عشرة طريقة ثم عادت إلى الطريقة الأولى » ذلك العمل الذي ربما كان يشبه ما يسمى **مختننا** **ronde** ^(١) شهياً كبيراً .

ويحل المرء في بحثه عن الآثار التي تساعد على التخاب على **الراقيل** والوصول إلى حقيقة الأشياء ، يميل إلى أن يصف **الطرق** التي « **تطرب** » في **الطرق** **اللعنية** ، والتي « **تضرب** » في **الايقاعية** ، ولكننا لسنا على يقين من ذلك التمييز ، لأنه من السهل جداً على **الناسخ** غير المدقق أن يخطئ في قراءة كلمتي « **طرب** » و« **ضرب** » فيحرفها . ولكننا نستطيع في بعض المواضع المتناشزة أن نميز **الموضع** الذي يشيرون فيه إلى **الطرائق** **اللعنية** ، ولولم توجد كلمة « **طريقة** » . مثال ذلك في « **حكاية إبراهيم بن المهدي** و**المزني** » التي تقول إن إحدى **المغنيات** « **أطربت** **بالغنا** » . وتقول **عبادة** ثانية في « **حكاية عبد الأمين والجارية** » ، « **غنت** بأطيب **الغنا** » . وتوجد إشارة ثالثة في « **حكاية أبي الحسن وجاريته تودد** » إذ يقال أن **توددا** « **ضربت** عليه (**الورد**) » **أثني** **عشر** **نفاً** . وقد الفت كل هذه **الحكايات** في « **الصور الذهبي** » **للإسلام** ، في وقت كانت تنف فيه كلمة « **نبتات** » (**المفرد**) :

(١) تطلق هذه اللفظة على قطعة موسيقية يتكرر فيها **اللعن** الأصلي عدة مرات .

نزمة) موقف كلمة « notes » في الانكليزية ، بينما كانت كلمة « نغم » (المفرد : نغم) تعني لحن « melody » ولم تصبح كلمة « نغمات » بمعنى كلمة « طرق modes » الا بعد ذلك بكثير ، اي بعد القرن الرابع عشر يقينا ، وان كان من الواجب ان نشكر ان الكلمتين مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً ، كما نعرف من الكلمة الاغريقية « Tonal » التي تعني « انغماساً notes » وحقولاً « modes » . ويظهر لي ان الكاتب أو الراوي استعمل في هذه الحكايات وما شاكلها ، مادة قديمة ، ولكنه صاغها في النساخ اكثر حداثة وجدة .

ومن المحتمل ان تكون الاشارة في « حكاية الملك عمر بن النعمان واولاده » الى اللحن التي « غيوت الضرب » أو اللحنية الاخرى في « حكاية اسحاق الموصلي والتاجر » التي « احكمت الضربات » أو السيدة التي « ضربت عليه (الود) بأحسن حركاتها » في « حكاية علي نور الدين والجارية مريم » موجة الى الطرق الايقاعية .

وبواجهنا الآن السؤال التالي : لماذا تطلق عدة ٣٤ على الشيء الواحد ؟ وقد وضحت الجواب بعض التوضيح ، ولكن يجب ان نصر على ان كلمتي « مار نو » و« وطوق » قديمتان وليستا حديثتين ، على الرغم من ذهاب لين الى خلاف ذلك . فقد وردتا في قصص يمكن اعتبارها جد قديمة ، واننا لنعرف ان كلمة « طروق » (الجمع : طروق) كان لها معنى مشابه عند اللث في المظفر (القرن الثامن) وبقيت حتى عصر « تاج العروس » . اما كلمتا « نغمت » و« ضربت » بمعنى الطرق اللحنية والايقاعية فتأخرتان ولا تزالان شائعتين في مصر .

وكان لكل هذه الطرق اللحنية والايقاعية اسماء خاصة ، توجد قوائمها في كتب اخرى . ولكن « الليالي » لا تذكرها ، فها عدا مقطوعة صغيرة تشير الى الايقاعين التيسل والحفيف في « حكاية خليفة الصياد البغداي » . وهما المقطوعة :

يا ذا الطار قلبي طار شوقاً
ويصرخ من جواه واثق نضرب
فلم تأخذ سوى قلب جريح
على تزييك الانسان يرغب
فلن قولاً هيبلاً او غنيلاً
« من ما » ثناء . فانت نظير
وعب وانزع ملذاتك يا عب
وقم وارقم وصل واعجب وعجب

ومع ذلك قد لا يكونان امين للطرق الايقاعية بالفعل ، وانما يشيران الى الضربات الثقلية او الخفيفة في الايقاع ، او كما يسميها صاحب الدف العربي الحديث « ضربت الثم » او « اللث » . وليست صور الموسيقى الثنائية كثيرة في « الليالي » . وانما

يستعملون مادة « القطعة » ، فيستخدمون بيتين او ثلاثة في العادة تؤلف ما يسمى « النقة » في الغالب . وربما كان سبب استعمالهم اليتيمان القاعد في الموسيقى الثنائية عندهم وجود عمارتين موسيقتين ومن الطبيعي انهم استعملوا في بعض الاحايين صورا طوبلية . وكان يصحب معظم المقطوعات الثنائية مادة « بشرو » (مقدمة آلية) و« غم » (خاتمة موسيقية) ، وان كانت « الليالي » لا تذكرها وانما تشير طبعا الى الاغنية التي يصاحبانها .

ولا توجد اشارة الى صورة خاصة من الموسيقى الآلية في « الليالي » . والاشارة المحددة الوحيدة الى ما يشبه ذلك توجد في « النوبة » التي يرد ذكرها مراراً . وكانت هذه النوبة الحلقة الثنائية والآلية القديمة الوحيدة عند العرب . وقد لاحظنا من قبل ان المفظ كان يطلق على الفرقة العسكرية ، لانها هي التي تزيي النوبات الجس اليومية . واطلق لفظ « النوبة » على موسيقى الغرف لنس السب . فقد كان لموسيقى البلاط في عهد الخلفاء العباسيين الاولين ساعات وايام خاصة لحفلاتهم ، وتشهد « الليالي » الى ذلك حين تميز إحدى النقيات ليرم الثلاثة . وكانت هذه النوبة هي التي اسميت اسمها على الموسيقى التي تعرف في تلك المناسبات .

ونقرأ في « الليالي » عن غناء « نوبة كاملة » و« نوبة مطربة » وقد اثبتت طائفة الاشارتان من حكايتين قديمتين ، هما « حكاية خليفة الصياد البغداي » و« حكاية ابراهيم بن المهدي واخذ التاجر » ، ومن اجل ان الاشارات التالية في حكايتي « علا الدين ابو الشامات » و« نعمة بن الريح وجاريته نعم » قديمة ايضاً . واطلقت الكلمة ايضاً على فرقة آلية ، اذ يقولون ان جارية « علمت نوبة » على الود ، على حين نقرأ في قصة اخرى عن السايفة التي « ضربت نوبة » على هذه الآلة . وتبين هذه الاشارات انهم يميزون حركات النوبة المختلفة ، الثنائية او الآلية وحدها ، وان لم يذكرها ذلك صراحة . ولكنهم يوضحون ذات مرة وجود الحركة الثقلية المؤداة ، وذلك حين يجهزوننا ان عازفة اخذت « الود وعلمت نوبة (ثم) دخلت في دارج النوبة » . ومن الواضح ان هذا « الدارج » إحدى حركات النوبة ، وقد اخذ اسمه من إحدى الطرق الايقاعية التي تنطوي بهذا الاسم الذي يبدو انه لم يذكر فيما قبل القرن الخامس عشر الى القرن السادس عشر . وتحتوي نوبات مراكن وتونس والجزائر الحديثة على حركة تسمى « الدارج » ، ايقاعها هو ايقاع « الدارج » .

ويبدو لي من المرغوب فيه ان أعظم حديثي بكلمة عن اصطلاحين

آخرين مستعدين في الموسيقى الآلية. اذ يوجد في « حكاية الفيلسوف البغدادى وجاريته » عبارة تشتمل كلتي « طرق » « طريقة » بمعنى يختلف قليلا عن المعنى المقبول والمعروف. وهاك العبارة التي نعتينا : « أخذت العود وغبرت الطرق طريقة بعد طريقة ، وضربت على الطريقة التي قد تعلمتها » . ومن الواضح اليين ان كلمة « الطرق » (المفرد : طريقة) في هذا الموضع تعني « تنعيم Tuning » او كما يقول الموسيقيون « accordatura » . وقد رأينا ان كلمة طريقة تعني « mode » ؛ ولكن بينا يمكن القول ان كل وتر يعطي « طريقة » يحسه ، او اذا تمزجنا بدقة « جنسا » من « الطرق » يجب ان نترجم اللفظ في صدر هذه العبارة ترجمة عاكسة لذلك ، ونعطي « تنعيم » لتوضيح العبارة . فتصبح الترجمة : She took the lute and altered the accordatura by note (طريقة) and played in a mode which she had learned (طريقة) from me اي أخذت العود وغبرت التنعيم ، نغمة بعد نغمة ، وضربت على الطريقة التي قد تعلمتها مني .

هناك كلمة اخرى ذات اهمية اصطلاحية ، وهي كلمة « جس » التي تعني « مس بالاصبع finger او « تحسس to touch » . ويقول كتاب « فوائد العلوم » (القرن العاشر) ان الاسم « جس » يعني في الاصطلاح « نقر الاوتار (اوتار العود) بالنسابة والابهام دون المضارب » . ويقول احد الامثلة في « الديباجي » : « اخذ العود وجسه » . فترجمها برتون متلفظا « He took the lute and swept the strings » اي « اخذ العود ولمس اوتاره » . ونقرأ في عبارة اخرى : « جس العود » فيترجمها برتون : « He turned it (the lute) » أي « دوره (العود) » . وهذه حالة نادرة ، اكثر تجديداً : أخذت العود واسندته الى تهبديا وجسته بأناملها « فبالضبط برتون في قوله : « She took the lute and swept the strings with her fingertips » اي « أخذت العود وجسته بأطراف أصابعها » .

خاتمة

« قصة كل انسان ما يحسنه » مثل مرعي

في « الديباجي » حكاية جديدة بان نغم بها هذه الدراسات عن موسيقى تلك « الديباجي » الثمينة ، وخاصة لاني اشترت الى الموضوع في ملاحظاتي الاولى . وهي تتلخص

بالوقوف الدائلي الذي وقفه بعض الفقهاء المسلمين من الموسيقي ، ذلك الشعور الذي كان مبرورا جداً في الفترة التي تناولتها « الديباجي » ورؤى ذلك الموقف في « حكاية ابني الحسن البلق » المقدم للموسيقى والملاهي الاخرى الى درجة جعلت امام المسجد وشيوخ الناحية يشكون مسلكه الى الوالي . فاقبه الوالي بفرادة لازعاجه جيرانه . فغضب ابو الحسن من هذه الحاملة ، وصرح ذات يوم للخليفة هارون الرشيد ، وهو لا يعرفه ، انه لو اعطي السلطة لجلد هؤلاء الشاكين الف جلدة . وحدث ان حقت رغبته ، فجلد الخليفة الزريف الامام والشيوخ كما اراد . وبعد جلدهم صرهم بقوله لهم ان ذلك جزء من زنج جيرانه .

وهي قصة مسلمية ، ولا شك في انها حازت تصفيق الجمهور في المقاهي والاسواق . ولكن يتضح من القصة ذاتها ان الاسام والشيوخ كانوا عقيين يسيرون على القانون في هذه الحادثة . فقد كان ابو الحسن زميلاً لبقاً ، ومن الواضح ان انتهاكه في الموسيقى والملاهي الاخرى كان من الصعب بحيث لا يتغامرنا شك في ازعاجه جيرانه واستمقاقة العقاب . ولو كان مسلماً حقاً لما جار على حقوق الآخرين ، لان « الحياء من الايمان » .

ويستطيع المرء ان يلج الى حد ما موقف الناس الجادين من الموسيقي حين رآها في صيغة الخمر والنساء ، فهذا اسحاق اليهودي يصبح مهدداً للناس بالاريل . . لاستخدامهم القانون ، والعود ، والناتي في افراحهم ونسيانهم الله . ويحدث نفس الامر للقدس كلمنت الاسكندري الذي ظن ان لو اشتغل الناس بالناتي والقانون قست قلوبهم وعصوا الله ولكن ابن ابي الدنيا المسلم كان اكثر تحديداً في لومه حين قال ان كل اسراف يبدأ مع الموسيقي وينتهي مع الخمر .

ومع ذلك ليست الموسيقي شراً في ذاتها ، وان كانت قد تصاحب الشر . وان المرء يضطر احياناً الى التسبب بما اذا لم يوجد وراء كل هذه الطروضة من المتشددين شيء من الحسد لاجاب الموسيقي ؟ تأمل في موقف القديس كريسوستم St. Chrysostom المسيحي ، الذي كان يظن ستم كاملة ضد الملاهي المضحكة ، لانه رأى الكنائس خالية في الاسبوع المقدس ، وان امتلأت المسارح بالجامعير القنوعة . وتدير مسلك النبي محمد الذي صب كؤوس غضبه على الشعراء الوثنيين الذين كانت تلاقي قصصهم الفكاهية عنابة اكثر مما يلقى وجهه . وانظر رجال الدين المسلمين المتأخرين او

نوه



الاديب



لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدونها شهر
كانون الثاني (يناير)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً ومي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً أو ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الإرجنتين ٥٠ دولاراً

اشتراك الانضمام :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اقل
في الخارج : ٢٤ جنيه مصرياً أو ١٢ دولاراً
أو ٦٠ دولاراً كحد اقل



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر



للاعلان تراجع ادارة المجلة



ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبريتية

تليفون { الادارة : ٩٧ - ٩٦ Direct : 47 - 92
المقر : ٣٧ - ٩٨ Dole : 87 - 48 } TEL



صاحب المجلة ورئيس تحريرها : المير أدوب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

القتواء الذين يهزرون رؤوسهم بسفاً ولوماً هؤلاء الذين يصبون ذهبهم
الذي لا يحصى في حجر المعنى الذي يغني ويغفر في بلاط الحليفة فهم
لا يحتفلون ولو قليلاً عن القس المسيحي لجلالند Langland الذي
صب لعناته حين رأى الاشراف الانجليز يندقون الهبات على طبقة
الموسيقين .

والطبيعة الانسانية واحدة في الشرق او الغرب ، ولنسنا
بمستطعين ان نؤمن ان الغضب الحق هو الذي دفع الانبياء والاولياء
على الدوام الى معارضة هذا الانبهاك في الموسيقى وحتى لو كان
الامر كذلك ، فان قليلين هم الذين اقفوا « بالدينار » او « الشكل »
او الذهب جزءاً لمساعدتهم على اقراراف الائم . ولم يكن جمهور
الناس قاعدين على الانبهاك في « الحز والمزنة والاغنية » كما كانت
الكلمة المائلة من طبقة الموسيقيين في فقر قسراً الكنيسة الذي
يضر به المثل بالنسبة لتوهم . والحق في سطر في « الف
ليلة وليلة » يقول : « واسا جرف اولى الصناعات فتغير فاضلة
عن الاقوات » .

واخيراً ، هذه المعارضة المشددة للموسيقى باطلاً تماماً ، اذ من
عبر المقول ان ندم الفاشية او النجوم لارتباطها بالخر والنساء ،
كما يقول ميسونيدس Maimonides بل الموسيقى القبل إستحقاقاً
للإعدام ، لانها في ذاتها ليست خيراً او شراً . ولا يمكن تصنيف
الموسيقى او اخضاعها للتصنيفات . فهي تتحدى كل هذه الحلول ،
ومن يبحث عن حل ، ينبغي ان يكون الهماً ، كما يقول جاكسون
Glascon ونحن لا ندرى كيف ولماذا تؤثر الموسيقى فينا . ومن
الحق اننا لازلنا نبيد عن معرفة الاسباب الحقيقية للانفصال نفسه .
وقد تجنب الفارابي الفيلسوف المسلم العظيم شرح التلاهمة بكل
براعة ولكنه على الاقل عرض الخطأ القائل بأن الموسيقى تثير
الطاقة او الحالة الروحية . وبالعكس ، اصر على ان الموسيقى نفسها ،
في الغالب او في المستمع ، تثيرها عاطفة او حالة روحية ، وان كان
المنطقي قد يجيب على ذلك بأن هذه تفرقة دون وجود فرق .
ويبدو ان شوبنهاور ضمن الفخر حين قال ان العالم ليس الا موسيقى
محقة . فالموسيقى عنده توجد في لب الاشياء ، وتعيش على جوهرها
ولمنا اذا استطعنا ان نغذ الى ما وراء الحجاب ، وجدنا الموسيقى
مفتاح الوجود ذاته .

صبر نصار

انفارة

هل الشقاق طبع في العرب ؟

بدر محمد ادب الحصري

اثبات هذه القضية ؛ لان جميع الذين عرفوا طرفاً من العلم الطبيعي (والاساذ الحصري منهم) يعرفون الجواب عن السؤال في بداهة وبسر - الشقاق ليس طبعاً في العرب . ولكنه ليس في نظري طبعاً في غير العرب كذلك ، وستقل مظاهره شيئاً فشيئاً اناء سير ركب المدينة الحديثة حتى يكاد يتلاشى على الشكل الذي نعرفه اليوم ، دح عكك الشكل الذي عرفناه في الماضي .

ومستكون خطي في هذه المقالة ان الحصر رأي الاساذ ساطع الحصري ، ثم اسبق عليه بالرأي الذي ارى . والجوابان لا يختلفان كثيراً لكنني اناج السؤال من الناحية العلمية - الاقتصادية والطبيعية - في حين ان جواب الاساذ الحصري يستند الى الناحية التاريخية .

والاساذ الحصري يعتقد اننا نرى العرب طبعوا على الشقاق لاننا ننظر الى تاريخ العرب من قرب نظرة تفصيلية فنطلع على كثير من دقائقه ، دون ان نحيط علماً بجلوهه الاساسية بموجبةارة اخرى نحن نرى مظاهر الشقاق في تاريخ العرب لاننا كرمبندوس هذا التاريخ بالتفصيل . ولو نحن دوسنا تواريخ الامم الاخرى بالتفصيل عينه لرأينا فيها مظاهر شقاق لا تقل عما نرى في تاريخ العرب ويعود الاساذ الحصري امثلة من اسم العالم المختلفة تدل حتماً على ما يشعر اليه . وهو يبدأ بقضية الاختلافات الدينية فيقول : « احصوا المذاهب المختلفة التي نشأت في العرب منذ ظهور المسيحية في مختلف البلاد الاوروبية خلال القرون الوسطى ، وخلال النصف الاول من القرون الاخرية نجد انها لم تكن قط اقل تنوعاً ولا اخف عنفاً مما حدث في العالم العربي ، خلال الازمنة المذكورة ان لم تكن اكثر تنوعاً واشد عنفاً » .

وعندما يتحدث الاساذ ساطع عن الاختلافات السياسية

هذا السؤال في ذهن الاساذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة فكتب به الى الاساذ ساطع الحصري ، المفكر العربي المعروف . وقد جال السؤال في اذهان غيره من المفكرين في جميع البلاد العربية على اثر هذا التدبر المنكر الذي ظهرت به الدول العربية في قضية فلسطين . ولم ذكر المفكرين حقاً في هذه المقالة العصبية المؤرخ الاجتاعي العربي ابن خلدون ، لانه اول من لفت النظر في صورة عقلية الى خصال العرب وسلوكهم في الاجتاع والعمران .

وقبل ان ادخل في البحث الفت النظر الى كلمة « طبع » التي وردت في السؤال ، فان المقصود منها « السجية التي جبل الانسان عليها » . والذي يجب ان نفهم منها هو « التريزة » في الاصطلاح العلمي الحديث . والتريزة او الطبع او الطبيعة سلوك يتخلق مع الانسان خلقاً ولا يكتسبه . وهو خلاف التطبع او الاكتساب في الاصطلاح الحديث . فالسؤال الذي نحن بصدد الجواب عنه اذن يمكن ان يكون « هل الشقاق غريزة في العرب ؟ » . ومن المعروف عند العلماء ان الامر اذا كان غريزياً انعدمت الحيلة في محوه وبجل ما تستطيع ان تصنع هو ان تعدل من مظهره بضم الشيء . لما اذا كان الامر مكتسباً فشكته امرو ، اذ تستطيع في هذا امال ان تعدله تعديلًا كبيراً او تمحوه عمراً .

ولقد اجاب الاساذ ساطع الحصري من هذا السؤال بان الشقاق ليس طبعاً في العرب ولكنه طبع في جميع الناس . ويكتفي من هذا الجواب انه اذا اح عنا كلبوس الفكرة التي زرعا ابن خلدون ، فكان اثرها شيئاً في التاريخ . وجواب الاساذ الحصري على كل حال كبير القية لانه يأتي من رجل واسع الاطلاع . ومن حسن الحظ ان الكتاب الكبير أتمد على الناحية التاريخية في

يلاحظ ان الامبراطورية العربية نشأت بسرعة وامتدت اطرافها الى افاق لا عهد للامبراطوريات بها . ثم يتساءل : كيف يمكن ان تبقى تلك السلطنة المترامية الاطراف مصنوعة من مغبة الانقسام مدة طويلة من الزمن ، بالرغم من اختلاف الشعوب الكثيرة التي دخلت تحت حكمها وبالرغم من المسافات الهائلة التي كانت تفصل نفورها من عاصمتها ، وضالة الوسائل التي كانت تضمن اتصال هذه العاصمة بتلك الثغور ؟ ويقران الأستاذ هذا باليونان والحروب التي كانت تثور بين مدنها . ويقول « لقد حدثت هذه المناسبات والحجرات بين تلك الدويلات ، مع ان المساحة التي كانت تجري فيها المناسبات والحجرات اقل من مساحة بعض المديريات في مصر والمحافظات في سورية والمصريفات في العراق » .

ثم يتحدث عن الرومان ويقول : « استعرضوا تالويخ وروما بنظرة فاحصة ولا حظوا كمن المنازعات قامت بين مختلف الطبقات الاجتماعية حتى في مدينة روما نفسها ، وحتى في عهد الجمهورية ، وكمن الحروب الداخلية نشبت بين القواد في عهد الامبراطورية ، وكيف أصبحت الجيوش ذات الكلمة النافذة في تنصيب الابهارة » .

والاستاذ الحصري لا ينسى امثلة من الدول الاخرى فهو يأخذ فرنسا مثلاً ويورد قولاً لمؤرخ فرنسي مشهور (اونست لافيس) والقول هو :

« لقد مضى عهد من التاريخ كانت فيه فرنسا شبيهة بقندونيا الحالية ، ومنقسمة الى اجزاء كثيرة متنافسة متبادلة متنافسة متضاربة ، وقد وجب ان تسيل الدماء ، مدواً حتى تلتهم هذه الاقسام المختلفة فتصل فرنسا الى وحدتها الحالية » وهو يضرب المانيا مثلاً كذلك فيقول انها : كانت منقسمة الى اكثر من ثلاثمائة دولة ودويلة ، حتى اوائل القرن الماضي ، وكانت لا تزال المنقسمة الى تسع وثلاثين دولة قبل ثمانين عاماً فقط .

ثم يبالغ الاستاذ الحصري مسألة الشقاق عند العرب من اصلها ، الى منذ جعل منها ابن خلدون ما يشبه القساعة الاجتماعية ، وهو ينقل عن ابن خلدون قوله : « والعرب اصعب الامم اتقافاً بعضهم لبعض ، للغة والالفة » ، وبعد الهمة والمنافسة في الرعية ، قللاً تجتمع اهواؤهم من اجل ذلك لا يحصل لهم الملك الا بصيغة ديدنية ، من نبوة او ولاية او اثر من الدين على الجملة . ويقارن الاستاذ الحصري اقوال ابن خلدون في هذا الباب بعضها ببعض ثم يستنبط منها استنباطاً لا رد له وهو انه قصد « بالعرب » العربان او البدو واما ان الملك العربي كان يقوم على الدين فظاهرة اثبت الاستاذ

الحصري ان الممالك الاخرى في العالم خضعت لها كما خضع العرب ، وهو قول ظاهر الصحة كما يذكر كل من مر بتاريخ العالم رأساً . ويهين الاستاذ الحصري بجملة بقوله « لا يوجد في طباع الامة العربية ما يجعلها شاذة عن سائر الامم في اسير الاتفاق والانشقاق » .

ذلك ما قاله الاستاذ الحصري مخلصاً . ولو اردت ابداء الرأي لقلت ان الأستاذ يحسن ان يتوسع في الجواب عن هذا السؤال توسعاً يجعل هدفه الرد المقابل لا آراء ابن خلدون في هذا الموضوع ، وفي قابلية العرب للصبر ، بل ان يضيف الى ذلك الاسباب الطبيعية التي ميزت البدو (لا العرب) بصفات خاصة تدعو الى الشقاق ، والدواء الذي تقدمه الحضارة العلمية الحديثة لهذه الظاهرة الخلقية في العرب او في غير العرب ، ان رسالة كهذه من شأنها ان تكون بمثابة في تاريخ العرب الفكري ولا بد ان يذكر العرب اولاً تاريخهم ان الاستاذ الحصري قضى على الفكرة التي ولدتها باطلاً فصول ابن خلدون في مقدمته وانه اضاف الى العقيدة المثنية التي يحسها كل عربي من انتائه لهذا البرق الذي انتج تلك الحضارة الرائعة والذي يتعجب للاشتراك اللاتني بركب الجئارة العالمية الحديثة .

وبعد فاني اقت نظر القارئ الكريم حين يفكر في العرب والدولة العربية الحاضرة ، ويقارن هذا الشعب بغيره من شعوب العالم اليوم ، او يقاس بين الدول العربية والدول الاوروبية او الاميركية ألنت النظر الى ان المقارنة لا تمت ، تكون مقارنة بين شعب يخرج من ظلمات اشبه بظلمات القرون الوسطى ، ومن تحت نيران اجني من الحكم اثقل كاهله في كل مكان ، وما يزال يتقل كاهله في اماكن مختلفة منه . وانت تحتاج الى ان تعيد هذه الشعوب الاوروبية او الاميركية المتحضرة ، مئات من السنين الى الوراء فتضعها قبل الثورة الصناعية ، وقبل الانقلاب التجاري الذي وقع اثر اقتناع امريكا ، وقبل تلك الانقلابات الحقوقية التي ولدتها الثورة الافرنسية وثورات ١٨٤٨ في مختلف ممالك اوربا ، تحتاج الى ان تضعها قبل ذلك كله ، لتصح المقارنة ويكون الحكم صائباً . ولو انت اقلت المقارنة على هذا الاساس خرجت بحكم يضع العرب من حيث الشقاق او الاتفاق في صف قريب من صفوف الامم الاوروبية التي يدل ترجيحها قبل هذه الاحداث على اختلافات داخلية مبررة .

اضف الى ذلك ان القرن التاسع عشر شهد توحيد الامم الاجنبية على اساس الثورة القومية . فانهى القرن التاسع عشر حتى كانت شعوب اوربا منتظمة في امم ذات دول وداير تضم شتاتها

وتحفظ كيانها وان هذا الدور لم ير بالعرب بعد . وما وجد هذه الاقطار العربية وعلى رأس كل قطر دولة لا دليل على ان العرب لم ينتشروا الى اليوم بالفكرة القومية التي نضجت في اوربا الى حد تكاد به تخرج من نطاق اممي يخص الناس من شرور العنصرية .

ومع تأخر العرب في هذا المضمار بسبب الوان الاستعمار التي انتابت اقطارهم كما اسلفت ، ظلوا كذلك خاضعين الى اليوم في نواحي كثيرة من بلادهم للنظام القبلي تؤثر فيه خصائصه بالحياة الصحراوية التي ينتج منها طبع خاص وحالة اقتصادية معينة . وهذا كله انتج الطابع العربية التي نعرفها من صيد في الحلق و«فريدة» في الترفة وحساسية تؤدي الى الغرور والتفرقة .

فالنظام القبلي الذي عم شعوب العالم كلها كما يقول مروجان ما يزال سائداً في الحياة العربية بدوية وقروية وحضرية . ولا يقضي على هذا النظام الا التركز في القرى والانصراف الى العهد المشر ولا التكتل في المدن على الاساس الصناعي الحديث — هذا الاساس الذي يزيد بطبيعتها من قيمة الفرد ويضئ من قيمة العائلة والقبيلة في الوزن الاجتماعي . وقد حارب النبي النظام القبلي حرباً شديدة تشهد بها آيات القرآن الكريم واحاديث النبوة الملاحظة من اثر ذلك النظام في عاقبة التقدم والرفق . وهذا النظام القبلي الذي ساعدت على بقاءه الصحراء والحواشي ، هو الذي ولد المغامرة العربية والصيد العربي الذي اشرت اليه . فصحرو الامة العربية اذن يجب ان يقرأ البدو جميعاً في قرى معينة ويخضعوها للنظام الذي تتطلبه الحياة المستقرة الرتيبة .

واما الحياة الصحراوية فأنما يافتها الواسع ومداهما الذي لا ينتهي ، وتزوع العربي فيها الى الحدود . والانفلات تولد « الفردية » التي نعرفها في العربي . وليست هذه الفردية الا امتداداً منحرفاً للثانية واحساس المرء بنفسه وانطوائه عليها . وقد لاحظ احد الكتاب الانجليز المحدثين حين قارن العرب بالانجليز ان العرب شديدي التبعة والثنا في حد نجح معروف في الانجليز . وانا اعتقد بصحة هذا واغروه الى ما تشعنه الحياة الصحراوية التي اشرت اليها . ولا ريب في ان تركيز البدو في القرى يجد من التبعة الفردية ويقرئها من التقدر المعروف عند الامم الصناعية المتحضرة .

ولقد كانت الحياة الصحراوية بموازرائية الابتدائية مسؤولة عن الفقر عند العربي . فسادا قرن الفقر بالانطلاق الذي تبصره الصحراء كان من ذلك الحساسية والانطواء ، وخاصة عند شعب

كالعرب امتلأت نفسه بالإيجاد التاريخية وخلت حياته من الاسباب المادية التي توقفه عند حد الانصاح المذعن عن هذه الامجاد ، بل هو يتجاوز ذلك الى الاعراب عنها بفخر اجوف ، واهتمام مضيق للبعد . وليست مهمة المصلحين العرب مقصورة على ازالة معالم الحياة القبيلة والصحراوية من حياة الامة العربية في اكثر اقطارها ، ولما تمتد الى ادخال الصناعة في الحياة العربية وما تقتضيه الصناعة من علم وصحة . ان الصناعة تزيد القوة وتصل الحلق بما تتطلب من تخصص في العمل ودقة في الاداء ، وتنسيق في المهام ، فالصانع الذي يعمل في مصنع ، يفوق ان انتاج سيارة يحتاج الى قرابة اربعة آلاف حركة صناعية مستقلة ، وان هذه الآلاف من الحركات تنسق على شكل ينتج جسماً واحداً هو السيارة ، يتعلم من معنى الانحسار والتعاون ما لا يمكن ان يتعلمه عن طريق الملاحظة او الدعاية .

ويجب ان لا يقل الانقلاب الذي ندخله في الزراعة على ما يجب ان يدخل الصناعة . فالعمل بالآلة في الزراعة ، يعرض المرء للانطباعات التي اشرت اليها الآن في الصناعة ، والعمل بها في الزراعة يولد من القوة ما يبني الفقر وما يستتبع ذلك من احساس بالانطلاق والكرامة .

اما الذي ينتج من تطبيق هذا الهتمام ، وفي اي مدى من الزمن يبلغ الحالة التي يؤدي اليها ، وهل العربي قابل له او غير قابل ، فالجواب عنه مضمع حين ننظر الى المؤسسات الصناعية والتجارية الحديثة التي تنتشر ببطء في مصر والشام . فاذا انعمت النظر بين قطر عربي وقطر اكثر منه ثقافة وابعاد فيها للدينة الحديثة بتقنياتها ومقتضياتها ، وجدنا خلق العربي يتأثر بلا ريب تأثراً واضحاً بهذه المقتضيات ويتقدم من الخلق الذي يعرف في دول الغرب التي تأثرت بحال المدينة الحديثة .

ان آثار المدينة الحديثة بصناعاتها وعلمها وثروتها واطلاقها تكاد تتشابه سواء اطبقت في الجبل او المانيا او امريكا او اليابان . ولذلك نجد من الشبه بين اثنين من بلدتين مختلفتين من هذه البلاد ما لا نجد بين عربي متملم وعربي جاهل .

وما لم نأخذ بسبب الحضارة الحديثة ، فيستغل هذا الومفن طبع التباع والتفرقة والشقاق في العرب سائداً كما يستغل الفقر والضعف ضاربين مجراهما بيننا ضرباً يؤدي الى عزلة عقيدتنا بانفسنا ، وهذه العزلة هي اكبر دواعي الشقاق .

محمد ادب العامري

الفرس

حتى اذا الموج لأمي الموج واتحد الايقاع غلغل هذا النهر مصطبها
في جوف مخضرة اسوارها ارتفعت من التصون بقرب النبع، واصعبا
لقد جرى نبع ايامي كتبها.. في حوض وادي الصبا لكنه ذهب
فلا هدير ولا رجيع ولا حمة كأنه في قرار الصمت قد رسبا
لكن مادها فيه الصفاء بدأ في فؤادي تراءى العيش مكتئبا...

رطوبة الماء والاضلال تعقني منها قيود وكم مثلي بها انجذبا
اقضي النهار وحوبائي اهددها على خرير المياه المذ مقربا
كما يهدد طفل مدد رقدته على مناعة ام صحتها عذبا...

هنا بعيداً عن الاقوام مغرداً مع الطبيعة يحلو العيش محتجبا
تحيط بي من رياض الارض مخضرة تقضي مجالا لا بصاري ومرتبعا
فلا أعي نغم هس الموج مبتلا ولا اري غير وجه الجلو متصببا ..
قضيت أكثر عيري في الهوى مرحاً وكـ رأيت وكـ احسست منذ صبا
قلي الي الحب ، الآلام مبهجة واليوم جيتك ، حياً ، باحثاً ، تمبا
من نهر « لينة » وفي جنتي طيف متى يهفو الي عالم النسيان ، معتباً
فيا مقر الصبا كن مثله وأرح عني الموم اذا ما ليها وقبا
فني التماسي نعيم النفس فاستري يا ذكرياتي، ولا تستعطي غضبا ..

قلي دخلي ونفسي بعد حادثة تود من عالم الاشرار ان تشبا
فضيحة الناس تقني قبل ان تطأ الاصداء اذني فلا ارجو لها كشبا
كنيسة في البعيد الطلق يصهرها طلول المسبح صدى في الاذن مضطربا،

من خلف ذاك العالم التضكست احياة حولي سكان البؤس، لي، كتيبا
تتوحن في ظلة الماضي خلفه ويسح حب نأى عن عين الرقبا
كصدرة الحلم تبقى عند يقلتته جلية لا تبالي فيه ان غربا ..
فالسروحي ههنا يا نفس واتندي وعانقي الله بالتجوى فقد وجبا
هذا العناق وكوني كالسافر اذ تقني قواه فيشكو الضعف والوصبا
ويسودح على ابواب مقصده قبل الدخول مساء يوقب الشبا
وقلبه معلن كل أمل عليه عطر المساء قد سكببا ..

صاغ الاله عقولا كي تحس به فاكشف لنا هذه الاسرار والسبا
فان صوتاً غريب الجرس مستتراً يجلد للرد من سر سحبا ونبا
ومن الناس لم يسمع صدى نغم يجلد في القلب فليسسه من رغببا ..

مصطفى عبد رب

الوادي

لؤي مارين

من كل شيء فؤادي ناله تعب حتى من الامل الزاهي لقد تعبنا
فلن يبتذل بعد اليوم مركبة الايام او يرتجى من دهره طلبا ..
وادي صباي آحوني ملجأ لا اري فيه موافاة يومي .. انه قربا ..

هذا هو الشعب في الوادي لقد ضربت أطرافه وقام الظل قد ضربا
فلا اري غير غابات مهددة على السفوح يتابعها الهوى طربا
تريق ادواحها الاضلال باردة على جبيني الذي من يؤمه شعبا
ويشم النفس فيض من يشاشتها والصمت يسطع بالاشراق ملتها ..
هناك تهدر خلف التاب ساقية وتنثي في التواء تلس الهربا
ونعت اقدام هذا الية والهمة أخرى تداعب في امواجها المشبا ،
مجراما يوسم التعريج ملتسماً درب اللقاء جريح اللعن ، محتجبا

رينه ديكرت

فصل من كتاب سير مشاهير الفلاسفة تأليف هنري توماس ودانالي توماس

ترجمه عن الانكليزية عبدالمعروف ليسانس في الحقوق

٢٢

نوف

ام رينه يمرض السل بعد ايام قلائل من ولادته (١٥٩٦) وتوقع الاطباء موت رينه المبكر ايضا لانه ورث شحوب الوجه والسعال الجاف عن امه . وكان ابوه موظفا في دائرة « بواتيه » وقد سلفه الى مربية تهذبه ومنعته عن الالعب التي يلعبها اطفال القرية الآخرين فترعرع — نتيجة لهذا التثديل — بزاج انشئ دقيقا انطوائيا ميالا الى الفرلة عما جل اياه يناديه سائرا « فيلسوفي الصغر » .

ولما بلغ الثامنة من عمره ادخل مدرسة اليسوعيين في « لاغليس » وكان معلومه يصنعون له بلراحة جسمه وتقرين قلبه فأجازهوا لهالبقاء في مخدعه الى ساعة متأخرة بينما كان عليه ان يستأجر طرولة ويتولها في الصف مثل رفاقه الطلاب وقد ساعده هذا الوفر من الوقت على اضافة دراسات اخرى على دراسته المينة فذاب على استيعاب معلومات جديدة وكان مولعا — وبصفة خاصة — بالادب الكلاسيكي او كما يقول هو « لاقوم بجولات فكرية في الماضي الصحيح فأخذ بطرف الحوار مع النبلاء الطامعين في السن » .

ترك مدرسة اليسوعيين في العام السادس عشر من عمره يقوم بجولات رياضية في الحاضر فيسم وجهه صوب باريس اذ تعرف بجامعة في سنة من الشباب الطائش فقلع منهم كيف يأكل ويشرب الخمر ويقامر وكان موقفا للمقاومة فذكر عنه اصدقاؤه « انه كان يتشد في تخميناته على معرفته الجيبة بالرياضيات اكثر مما يعتمد على قوانين الخط » .

ولقد اقمعه السرور وتلكته النشوة حين تخصص من مرض السل ووجد نفسه مشتتا بجسم سليم معافي وعقل متوقد فأهل نشاطه الفكري ليارس نشاطه الرياضي . ففي ربيع سنة ١٦١٧ — في العام الواحد والعشرين من عمره — تطوع في جيش الامير موريس آل اورنج في الاراضي المنخفضة . لم يكن عسكريا بالطبع وما رغب في

السكرية ذاتها بل حسبها مدرسة لاتارين الرياضية كما لم يحبذها كوسيلة من وسائل الحرب . فقال : « ان تزعتي العسكرية ناشئة عن حمى الكيد الوقية التي ولت برود الزمن » وكان طبيعيا تجنبه للمعارك اثنا حياته سواء كانت في ميدان الكر والفر ام في ميدان الفكر . فالشجاعة ليست صفة من صفات ديكرت . مضى عامان وهو يشيع ميده الى الحياة العسكرية التحق خلالها بالجيش الهولندي والبنفاري والهنفاري وعاد بعدهما من مسكريته الى التفكير والتأمل . . فجاءه غره النور وانبث نوره عام ١٦١٩ « زارني في ذلك العام حلم سط على من السماء . فسمعت قصف الرعد . انه ندا . الحقيقة اصغت اليه فقلتك دسي » وفي الصباح الباكر دعا الله ان يرشد به دنويه . فكسوس حياته منذ تلك اللحظة لاستقصاء الحقيقة وانتقض حوالي ثمر سنوات وهو يجري وراء الحقيقة تنقل اثناها من بلد الى آخر يلتبسها مع الناس وفي قراءة الكتب ويتشبت بخيوط اللامباية الواهية فيتأثرها ليدرك اصولها ومن ثم بدون غرات اجماعه في دقاتر المذكرات . وعاد بعد ذلك — في الثلاثين والثلثين من عمره — الى هولنده « هناك حيث السكون والفرلة استلمت تنسيق افكارني على شكل مجموعة دافقة » وحجب نفسه حجابا تلاما عن المجتمع فألقى محل اقامته حتى على اصدقاؤه .

اعتقد اخيرا بأنه بلغ جزءا من الحقيقة اودعه صفحات كتابه (المالم) وامتنع عن نشر مخطوطه تهيما من طبع كتاب يتضمن نظرية ثورية وهي ان الارض متحركة . وكان اتهام الفلاسفة والعلماء غيره مانلا نصب عينه مثل (برونو Bruno) و (كلبانيان Campanella) و (فانني Vanini) و (غاليليو غاليلي) اقدموا على نشر نظريات ثورية مشابهة . وحتى يتحاشى اية عمالة لنشر هذا المخطوط ارسله الى منطقة نائية عن بلده ولم يصدر كتابه هذا حتى بعد موته عدا جزء منه فقط . فالحقيقة التي جعلت ديكرت حكيما اخفت ان تبجله حرا .

الوقت . . وانا واثق كل الثقة بان كل شي . تقبله عقلي كان حقيقة ولم يكن اوهام أحلامي .»

هكذا استطاع ديكارت بসাؤلہ المنطقي عن اي شيء او عن اي كائن حي ان ينسج - ولو بالقتناع الشخصي - في الوصول الى الاعتماد بوجود الروح. دعنا نستفي ونختاط للامر فديكارت يريد ان يدخل في مدار الفسوف من باب الشك - وهي باب لولية تدور دورات سريعة حول نفسها - كي نقى نظرة الى داخلها اولننظر في مرآة ما وراء الطبيعة لكن الباب الولية تلفظنا بعيداً قبل ان يساعدنا الحظ على تقديم خطوة واحدة في مداخلها . .

اذا القيب حديث يفتنا
ليس نراه في متناه

ان جوہر جسدی مادۃ — کا لراہ بوضوح — وجوہر روحی

ثانياً - « لاخضع لقوانين بلادي ولا تمسك بدين آلهي ولا تبع تقاليد اشرقية رجال الطبقة الحاكمة فانما ملتزم بالتابعين بحكم اتصالى بهم ».

ان هذين المثلين - كما تلاحظ - يتناقضان الى حد ما فيش
على الانسان ان يتبع خطواته اينما تقوده . فاذا ازم على التقدم
فلا تقوده هذه الخطوات الا في السبل المؤدية الى سلامة الرأي .
ومع كل ما ذكرناه من تناقض ديكارت البين فقد نجح في
تشريع نظام للتفكير يفرضه عن غيره بان يكنى (بأبي الفلسفة
الجددة) .

وطورت فلسفته في بحثيه (اسلوب التحليل الصحيح) (انسب)
و (تأملات بالفلسفة القديمة) فاستند فيها على اساس علمي جبر عنه
بأنه (اسلوب الرياضيات كما طبق على الفلسفة) فهو يبدأ بفرض
علمي فيقيم عليها الا نقبل شيئاً غير الحقيقة فندخل ملكة الطبيعة
Phylosco وما وراء الطبيعة Metaphysico باستشارة العقل
دون ان نكون مؤمنين او غير مؤمنين محاولين الصراحة دائماً .
نخرج دار القموض من باب الشك فاذا نجح في هذه الدار . . مبدئياً
لا شيء . الا الفلام كلسافيرين الضالين في القاب . . لكن دعنا لا
تتأخر دعنا نسير باتجاه مستقيم نشك ونعص ونصدق باحثين
عن الحقيقة . . قبل كل شيء . يجب الشك في كل شيء . « امتنعي
ان انذر نفسي لاستنباط الحقيقة التي اعتقد بأنها من مكملاتي . .
ولاطوح جانباً اي شيء . موهوم . . او يجمل الي ان فيه ادنى دليل
على الزم . . فان جمع الفكر والزمي التي تتشاني عند البقطة قد
تتشاني عند التزم دون ان تكون اية واحدة منها حقيقة في نفس

تفكير ، قال شي . الذي نسيه أنا يتكون من جزأين متشقين من بعضها (ماكنة) متحركة او جسد وآلة مفكرة او روح .
ان فلسفة (الماكنة) والآلة تعرف بهذا المذهب الثنائية Dualistic وهذا المذهب يقسم العالم الى مدرستين متضمتين مدرسة الجسد ومدرسة العقل وهما اساسان للفلسفتين المتناحرتين في الصراخ الحديث للمادية والثالثة . فلما يدور مثل توماس وهكلي يقولون ان العقل جزء من الجسد لذلك فهو آلة او عجلة من عجلات (الماكنة) وقد كتب هكلي « أنا اتفق مع ديكارت بان الجسم البشري ككل الاجسام الحية (ماكنة) بعملياته (الجسمية والعقلية) ويمكن ايضاحها على ضوء مبادئ الميكانيك . وبناء على ما تقدم لا وجود للروح في الدنيا .

اما المثاليين من الجهة الأخرى مثل يدكلي Berkeley الذي ينكر وجود المادة فيقول « لا توجد المادة الا في نطاق شعور العقل بوجودها . . فالمضدة التي اكتب عليها اقول انها موجودة حين اراها واشعر بوجودها ولو قيل ان وجود الأشياء لا يستدعي الصلة بينها وبين الشعور بكيانها لكان ذلك غامضاً لكل القنوض . فوجود الأشياء يستند على تحسس كيانها » وعليه لا وجود للمادة في الدنيا .

مسكين ديكارت لا يعلم أب فلسفتين متناقضتين المادية الحديثة ويمثلها إيسو Bea والثالثة الحديثة ويمثلها جاكوب .

دعنا نعود الى بحث ديكارت عن واحة الأيمان في صغراء الشك حيث آمن أخيراً بعقله الحقيقي وجسده الموجود وهما هو يحاول اثبات وجود الله فيقول: «اني اتصوره في غاية الوضوح والتبسيط كحقيقة واقعة » ويتجلى ذلك في عقلي وينعكس في الحقيقة التي شككت فيها أولاً واعتقد بأن كيانها ليس كلاً تام الكمال » ويظهر لي ان منتهى الكمال بالعرفة لا بالشك .

ولكن كيف عرفت اني افكر في ذات اسمي من ذاتي ؟ . عرفت ذلك بجلاء . ان هناك ذاتاً حقيقية اسمي من ذاتي - ذات تركزت فيها كل صفات الكمال فاستطعت بمفرقتها ان احصون فكرة عن كلمة الله ولا ينسب الى الله الا الكمال . ولست فيه اية نقصية اذ ليس الخوف والحزن والغضب والتعب والحقن من صفات الله . وصفاته غير المنظورة تجملنا سداً . اما صفات التنص في علام البشرية لا الالهية . وان الله أحد . محمد . كامل . خالد . سامي . انلي . علم . قادر على كل شيء . وقد قال ديكارت « هذه هي حقيقة الله الكامل التي ساوت سهولة اثباتها او تجاوزت

سهولة اثبات البدييات الهندسية » وان الله الكامل يسدد بخطانا للشفقة غريزياً الى سواء السبيل .

كان امرأ هيناً على ديكارت اطلاق الصان لتفكيره التوهم حتى يدرك الصواب لأنه خفي من مشاكل الحياة الاقتصادية التي تشتت التفكير فقد ورث عن ابيه مبلغاً من المال كفاه العيش بمستوى مريح ان لم يكن راقياً لا سيما انه لم يتزوج فكانت حياته الحاملة تسير على وتيرة واحدة بلا مفاجآت . يأكل جيداً وينام كثيراً اذ يستيقظ في ساعة متأخرة صباحاً ويمش يمشاً راضياً هائناً ويقوم احياناً بسفريات الى الخارج لكنه ابنه التي عصا الترحال قضى معظم اوقاته في الدار فيراسل اصدقاءه برسائل متواصلة فيكتب اليهم عن نظرياته الفلسفية وعن السرور الذي يشع به في مسكنه المنزول وعن حياته الهانئة البعيدة عن الاوصاب التي تقشت بين اغلبية افراد المجتمع البشري وعن تقوئه في جدال بوكران بتي ، وروبرفال وكامبانيا وغاليليو وغيرهم من معارضيه من الفلاسفة والمعلماء في عصره فشبهم بالكلاب الحقيقية الناجمة التي ليست لها اية قيمة لكن ظهر له اخيراً انهم اناس ظراف يتبادلون التكات أثناء حوارهم الودي .

هكذا يفيض ديكارت عن نفسه غبار الكسل ويبعد التأمل والتفكير بالحوار وكتابة الوسائل لكنه يقضي ايامه العالسة بالبحث عن الحقيقة . ولتنبس عباراته الخاصة « احب الحياة ولا ارهب الودي » .

« حقاً اني ابدع من الموت في الزاوية والاربعين من عمري عنه في ايلم شباني » فكتب يقول ان صفتي موفورة واسناني كما هي ولم يؤلني شي . يمكن ان يسمى مرضاً منذ ثلاثين سنة . بمذالك اصيب بأول صدمة في حياته لما صار أباً لابنة تبتاها اسمها فرانسينه Francine فقد احبها حباً جماً وفشل على كل مخلوق في الدنيا فاحتفظها الموت فجأة عندما كان متابعاً للسفر منها الى فرنسا ليجعل منها « سيدة جميلة » لها مركز مرموق وقد حضر ديكارت وقت احتضارها قاضفاً يوهناً جديداً على حقيقة وجوده « انا اتمل اذن انا موجود » وقد كتب بيليت عن سيرة حياته « كان يسكن عند موت ابنته بكاء . رأى فبعهن بذلك ان عقيدة الخلود تزول في فترة الحزن على الفتيق » وألوى الى قلعة الفكر بعد انتهاء مدة الحداد فاشترى بيتاً ريفياً بجلاً بالقرب من مدينة ليدن لا يبعد عن شاطئ البحر اكثر من مسافة ساعتين واحتفى به عنابة فائقة فأقام عليه عدداً كافياً من الخدم الامناء . وكان يجلس في غرفة تأملاته المطلقة

على حقيقة قديمة جميلة فيجيب النظر بين المناظر الخلابة غارفاً في
أوهام الشك .

ان ملاحظه تم عن هيئة فيلسوف قصير القامة نحيف الجسم
ضخم الرأس شعره مسترسل يكاد يبلغ حاجبيه صاحب الوجه
ويوجد تنوع بارز في شفته العليا وتبرز اسنانه من فكه الاسفل
لشدوذ فيها وحيته سوداء قاحلة حلفت على طراز فرنسي ويلف
رقبه يوشاح من الحرير يقيه عادية البرد ويلبس ستره داكنة
وسروالا قصيراً وجوارب سوداء فهندامه فلسفي - اذا صح التعبير -
تغتر على ثغره في بعض الأحيان بسمة فاترة وفي عيونه بريق ضئيل .
وعندما يهرح الدار يضع على رأسه شراً مستشاراً ويلبس
جوارب صوفية طويلة فهو يمتاط كثيراً لتبدلات المناخ اللطيفة
خوفاً من تأنيدها في صدره الضعيف وراثياً .

وقد جعله الحظ من الأمراض الصدرية يكسث في البيت
أكثر فأكثر كلما تقدمت به السن .

تنازعته شتى العواطف عندما قلم رسالة من الملكة كريستينا
ملكة السويد تدعوه فيها إلى الإقامة في بلادها ليعلم الفلسفة لكن
المناخ في السويد بارد جداً ويختلف كثيراً عن مناخ هولندا ولوجا
يؤثر في صحته تأثيراً سيئاً لكنه من جهة أخرى يحرص على الانعام
الملكي الذي لا يرد ولو من فيلسوف . والملكة كريستينا امرأة
تحاول شتى طريقتها إلى المجد حيث فقدت أياها غوستاف ادولفوس
في السادسة من العمر فتدربت على أعمال الرجال منذ صغرها وأوصى
الملك غوستاف بعرش بلاده إلى ملك مستأنس لا إلى ملكة
مستذكرة . . - يقصد بالملك المستأنس كريستينا باعتبارها قوة
البنية كالرجال - فكانت تأثف أنوثه النساء وتعوجهن وتجنب
الزينة والثائق . وترفع رأسها عالياً دون أن تضع عليه تاجاً وتلبس
ستره قصيرة وثوباً عادياً وحذاء كعباءة واطئان ويقدها أفراد
حاشيتها بهذا اللباس . وان أخلاقها متينة كالصلب وجسمها لا يقل
متانة عن أخلاقها . تأكل قليلاً وتنام قليلاً وتندرب كأنها جندي
يستمد لحرض غار الحركة تستري على صورة جواردها عرساعات
بلا كلل يلصقها الحر ويقرصها البرد وهي غير غايبة بذلك وتتنق
الرماية اتقاناً عجيباً سواء كانت على ظهر جواردها أو ماشية على
الاقدام يضاف إلى قوتها وشدة بأسها عقليتها الحساسة فكانت
لنوعية ماهرة تتكلم بطلاقة اللغة السويدية والفرنسية والإيطالية
والاسبانية واللألمانية لكنها لا تعرف شيئاً عن اللاتينية أو العريقة .
كانت تجد لذة كبيرة في دراسة العلوم وتقبل بصفة خاصة إلى الفلسفة

وأضاف إلى قوتها الجسمية والعقلية صفة أخرى وهي قوتها لإرادة .
رفض ديكارت دعوتها للمرة ثلث المرة غير أن رسائلها إليها
ملينة بعبارات المديح والتزلف فيقول في أحدها « ان صاحبة
الجلالة خلقت بشيئة الله فوق مستوى البشرية . . » وقد توسل إلى
جلالتها بأن تقبل اعتذاره عن السفر فهو يفضل على حشد تعبيره
« تعريض جسمه إلى أشعة الشمس على هذا الانعام الاسمي » فيقول
في إحدى رسالاته « كان لي الشرف الطعيع بالدعوة الملكية السامية
فقد غررتني صاحبة الجلالة بفضلها . . وها انذا بعد مضي عشرين
سنة قضيتها في عزلي وبعد ان تقدمت في السن استطف جلالتها
بأن تجنبي مشاق السفر . .

لكن صاحبة الجلالة لم تقبل اعتذاره فهي تحاول بشتى الوسائل
اقناع فيلسوف عظيم على زيارة بلادها (حيث الدبة تعيش بين
الصخور وبين الثلوج) وقد افلحت بجمعها على السفر في تشرين الأول
١٦٤٩ فتوجه إلى السويد . وقد مات بعد وصوله إلى ستوكهولم
بعدة قليلة فلم يكن ليلاوم مناسخ السويد القساوس فحسب
بل ليقاوم إرادة كريستينا العنيدة فهي تعتقد ان الصباح الباكر غير
وقت لدراسة الفلسفة فخلع عليه الحضور في القصر قبل شروق
الشمس فهذا الاستيقاظ المبكر في شتاء الشمال القساوس حيث
ينساق البرد صعب جداً على فيلسوف الف في بلاده البقاء إلى
ساعة متأخرة في فريشه الدافئ مستغرقاً في تأملات الصباح . .
فذكر عن السويد يقول « يتجسد في هذه البلاد دم الانسان كما
تتجسد المياه في الأنهار » استطاع ديكارت ان يجا على هذه الشاكلة
مدة اسابيع قلائل . ففي يوم من ايام منتصف الشتاء عندما كان في
طريقه إلى القصر شعر بقشيرة شديدة تسري في جسمه اصاب
بعدها يرمون بمرض ذات الرئة فأرسلت إليه الملكة طبيباً ألمانياً لم
يطعن إليه عندما حاول اجراء عملية جراحية فقال « انك لا تستطيع
سفك قطرة من الدم الفرنسي . . » لكنه وافق أخيراً على اجراء
العلية فكانت بعد فوات أوانها .

ففي ١١ شباط ١٦٥٠ فتح ديكارت عينيه وسأل بصوت
متهدج خافت كم الوقت . . الساعة الرابعة صباحاً وهو يتكلم
النهوض . « حان وقت النهوض الملكة بانتظاري » لكنه غير قادر
عليه فاستلقى على الفراش وهو يهيس « الوقت لمنازة الروح . .
انا روح حي . . . انا أبحث عن الحقيقة . . » .
مات ديكارت قلبي في موته الحقيقة وجماً لوجه . . .

علمه - المراهق غير المعروف

السيدة دودوفان

لانت

ماري دوفيشي شامبون التي عرفت باسم السيدة دودوفان من اقرب النساء اللواتي عرفهن القرن الثامن عشر، فقد اعطت نفسها للتمه والبهجة والفرح، ولكنها كانت تقبل على هذه المسرات بدافع الكتابة والالم اللذين يستبدان بها رجاء التحرر من نيرها القادح، وقد ظلت سر داوية المزاج طاعة القنوط على الرغم من حياتها الفارقة في الفرح والمثبة.

ولدت سنة ١٦٩٧ من اسرة اوستوراطية، ومات ابوها وهي صغيرة السن فنشأت في ديو المجدلية بباريس، وانتازتها منذ خداتها شعور غامر بالصبر من الحياة، ولازمها هذا الشعور طوال عمرها. لقد كانت ترى ان الحياة تافهة كل ما فيها يدور الى السأم والضيق فتترامى في احضان الحب، ولكن الحب لا يزيدها الا سأمًا من الحياة وضيقًا بها.

وقد زفت وهي لم يسن الثانية والعشرين الى المركيز دودوفان دولالاند، فضاغ زوجها من سأمها وتعبها، لاسيا وان زوجها الشاب سكن احق غيبًا، فاعتست انطلقت لاهوائها العنان، وقادتها صلاتها الوثيقة بالطبقة الارستوقراطية الى البلاط فأحبها الوصي واستمرت علاقته بها بضعة شهور ثم حاولا خلافاً للتحرر من الصبر، اذ كان الوصي على غرارها، كثير السأم من تافهة الحياة، بل كانت هذه الحلة شامفي نفوس الكثيرين من أبناء ذلك العصر الذي بلغ أوجه وأوشك على الزوال، وفي وسعنا القول انها صفة تلازم الطبقات

المفرقة، المفرقة في التفرق، حين يستغنى النظام الذي تعيش في ظله كل حسنة وبأخذ في الجرد والالجلال.

ولاكت الاسن سيرة المركيزة، وطلقت صديقتها يتعدن منها، لا لانهن اشد تمسكاً منها باعداب الفضيلة، ولكن لانهن اكثر تسراً وتضليلاً، فبدأ لها ان تعود الى زوجها المدله بها، ولم يكن ذلك صبراً طويلاً، لان علاقاتها الغرامية لم تكن علاقات وثيقة خلية بان تبقىا بعيدة عنه، وهي لم تعقد هذه العلاقات بدافع حب او بدافع الميل الشديد، وكانت تصرح دائماً بأنه لا الحب ولا الزواج هما اللذان يدفعان بها في طريق الرذيلة، فليس ثمة غير الصبر دعوها القاتل!

غير ان عودتها الى زوجها لم تدم طويلاً، فابثا ان انفصلا بالطلاق، وعادوت هي سيدتها الاولى.

وقد احب المركيزة دودوفان اناس كثيرين، لما كانت عليه من جمال أخاذ، وعينين متأتين نافذتين، وذلك متوقد، وظرف خلاب، وفي طليعة الاشخاص الذين شغفوا بها، الرئيس هنيولت، وهو قاض وأديب بدأت علاقته بها سنة ١٧٣٠ وهي في سن الثالثة والثلاثين، وكان يقول لها انها بالنسبة اليه شرو لا بدمته.

وقد طالت عشرة السيدة دودوفان للرئيس هنيولت، وكانتا يعيشان كزوجين سعيدين، وينشيان معاً المحببات الراقية والصالوات الشعبية، فتمرت باكبر المفكرين في عصرها.

السيدة دودوفان



وفي سنة ١٧٧٧ هجرت منزلها بإشعار يون واستأجرت جناحاً في دير سان جوزيف . وكان من عادة الدير أن تؤجر غرفاً أو اجنحة للارامل والعراش والنساء اللواتي لا زواج لهن ، فيحسن فيها ويستقبلن اصدقاءهن وكأئهن يعيشن في منزل عادي لا صلة له بالدير . وسرعان ما تحول جناح المراكزة دودوفان في دير سان جوزيف الى صالون انيق يضم اكبر الشخصيات ويفشاه ابرز المفكرين . ولكن الحياة كانت تجبى . لهذه المرأة التي اعجزها الظفر بالسعادة حتى في احضان الحب ، ملاحظة الية . فان عينيها النافذتين كمنى النسر بدت تظلمها غشاوة تحجب عنها النور . وعينها حاولت وحاول اصدقاءها انقاذ عينيها الجليتين ، فان الالام ، وحتى السحرة والمشعوذين ، قد اعلموا عجزهم عن مقاومة الداء .

وقد اجتازت ماري دودوفان هذه المرحلة من حياتها ، وهي ترى ذلك الظل يتكاثر يوماً بعد آخر بينها وبين العالم الخارجي ، دون ان تشكو او تتذمر ، ودون ان تعرب رسالة من رسائلها عن المول الذي كان يحتاج نفسها ، وحين اعترف لها الالام اخيراً بعجزهم من شغلها ، ونحسب الامل الذي كان لا يزال يلملج في صدرها ، انطلقت البقية الباقية من النور الجليل الذي كان يتلاها في عينيها ، ولم تعد ترى غير الظلام المتصل بالكل .

كانت السيدة دودوفان قد تجاوزت سن الحبيب ، فلما فقدت بصرها أخذ اصدقاءها ينفذون عنها ، ولم يد يدبش الصالون الاتيق غير بضعة كهول من ابناء الطبقة الارستوقراطية . ثم شاء القدر ان يفضيها بالصديق الوحيد الذي اخلص لها حتى النهاية ، فذهب بالريس هينولت ، وتولى المرأة المسنة الصياء ، الحزن والجرح والضجر . لقد عاودها الضجر على اشد ما يكون ثقلاً وكابة ، وخيل اليها انها ستقضي ما بقي من سني حياتها في صبة هذا الرفيق الذي لازمها طول عمرها وكانت تلوذ بالحلب والمثمة لتساق وتبعد عنه ، فاذا الحب والمثمة يضيان ولا يبقى غير الضجر يطالهما كل يوم وكل ساعة بوجه المظلم المرحش الخفيف .

بيد ان دودوفان ما لبثت ان عرفت الحب مرة اخرى . وقد عرفته هذه المرة بوجه الصحيح ، بوقته الثامرة ، وبطافته الصادقة الخاصة التي لم تخارها قط مع كثرة ما احبت وعشقت او خيل اليها انها تحب وتعشق .

كانت قد بلغت سن الثامنة والستين ، وقد يشتت من الحياة ، وورحت تحت الالام ، واخذت تستمد لهايتها الهتومة . ولذا برجل يدهي هوراس فالبول يقتطم حياتها ، فيخفق قلبها ، وتزهر على



الريس هينولت

خديها المجددين وردتان جميلتان ، وترتجف أناملها الشاحبة كلما اخذ يدها بيده ليقبها ، وتندو الحياة في يديها ساحرة اخاذة مرحة . ويبدأ القدر العايب قصة غرام على اروع ما تكون قصص الغرام روعة وغنى . كان هوراس فالبول نبيلاً انكليزياً ، واسع

الثقافة ، ظل عضواً في مجلس العموم طوال سبع وعشرين سنة ، فسنم السياسة وانصرف الى الاداب والفنون ، واقبل الى باريس ليتعرف برجال الفكر والفن فيها ، وقد اختلف الى صالون السيدة جوفران وصالون الانيسة دوليبيس ، ولكنه لم يجد الطائفة التي ينشد الا في صالون السيدة دودوفان .

فما كادت المرمجة تعرف بفالبول ، وتصغى اليه ، وتبادله الحديث ، حتى شفت به شغفاً عظيماً ، فكان قلبها الذي لم يعرف الحب الصحيح طوال ثخين سنة قضتها في احضان الحب ، قد تنفتح مرة واحدة وقاضت عاطفته المكبوتة كلها .

وكادت ماري دودوفان الالم الحب ، وهي في تلك السن ، مثلاً تكادها قاة في السابعة عشرة من عمرها . كانت تبكي وتضحك ، وتكلم وتفرح . وتصاب وتوسل ، وتكتب الى صديقتها : « لسوف تكون مرشدي في كل شيء . فاني اريد ان اكون عزيزتك الصغيرة كما لو اني في سن الثالثة عشرة ! »

لقد عرضت عليه صداقتها فاجاب انه لا يؤمن بالصداقة التي تنشأ بين رجل وامرأة ، فعرضت عليه نفسها جميعاً . فمظهر بانها لا يفهم ما تمنيه . ولكنه كان رجلاً صلياً رحيماً ، فكان يحيطها برعايته حناناً وشفقة . وكانت ترى مظاهر هذا الحنان وهذه الشفقة فتبهج ولا تقنط من حبه .

وكان حبا يتعاطف ويعتف يوماً بعد آخر ، حتى خشي وهو يودعها ليود الى انكفرا ، ان تكتب اليه رسائل لا تليق بنسها وبسها على الاخص . لا سيما وان الترفة السوداء في لندن كانت تفرض مراقبتها على الوسائل الواردة والصادرة على السواء . فتوسل

إليها أن تكون نصينة متطفلة ، واقتسله الأيمان على انها ستحور من قاموسها جميع الكلمات التي تعبر عن الحب والميل والصدقة العاشقة . ولكنه لم يسكد يبلغ لندن حتى تلقى منها رسالة تقول في مطلعها « ما دمت أحدثك الآن دون أن اسمعي أحسد » فاني أريد أن أقول لك انه ليس في وسع امرأة أن تحب رجلاً مثلاً أحبك .»
يا لالها ! ان كلمة الحب هي الكلمة التي كان يجشأها أكثر من أي كلمة أخرى .

وضع الرجل الرسالة جانباً وبادر الى الكتابة اليها محاباً ، وإذا بها تنضب وتأنم وتكتب اليه قائلة :

« يا علي استمداد لأن انتزع عينيك اللتين يقولون انها جيلتان . واني لا أبحث عن الشتام التي يحب أن اوجهها اليك ، فلا أجد شتيمة تليق بك . الا فاعلم ، واحفظ ما أقوله لك جيداً : اني لا أحبك أكثر مما ينبغي لي ان افعل ، فعد الي يا حبيبي ، عد الي باريس ، وسوف ترى اني سأكون كما تريد ولا اقدم على شيء الا برضاك وموافقتك .»
وتلع عليه بان يعود ، ويزداد احلاها شيئاً فشيئاً ، فهي تريد ان تجده الي جانبها وان تتلاسه بيديها وتتدمع عينها الرجل شفقة ويعود .
لقد سافر الي باريس خلال السنوات الخمس عشرة التي استمرت فيها علاقتها ، أربع مرات ، وكان السفر شاقاً والانتقال صعباً .
وكتب لها اثناً ، ذلك ثمانية رسالة ، اما هي فقد بعثت لوالها ألف وخمسة رسالة .

وقد قاومت هذه الرسائل بأروع غرام واصدق عاطفة ، وكان فيها الغضب والرضا ، والام والفرح ، والرجاء والفرح ، والكثير من كسباً ما كان فالبول يوبخ صديقته على استسلامها مع تزوات قلبها ، فتجيبه باكية انه راضٍ في حماه من سلوكها ، سعيد بحبها له ، ولكنه يخشى الناس وفي سبيل المحافظة على سمته بينهم يضحي بصديقة حقيقته كان في وسعه لو أنه أكثر طيبة وأقل تحفظاً ان يعمر الشقاء ، والمرارة من حياتها ، ويفقد عليها الفرح والبهجة .

وفي رسائل السيدة دودوفان ، عدداً ما ترخر به من حروارة الحب وصديق العاطفة ، صور شاملة لكثير من نواحي الحياة في عصرها ، وخواطر اجتماعية

وأدبية قيمة ، ويبدو منها انها كانت تحب بفزير اعجاباً متقطع النظير ، اما روسو فكانت ترى ان ادبه يشبه بالوضوح وبنض الطرادتو لكلمها وضوح الحق وحرارة الحلي ، فهي قادرة ممتازة ، وحين فقدت لذة الحب ، لم تجد ملاذاً لها من ضجرها غير العاطفة المتصلة .
ومررت سنة ١٨٢٠ مرضها الأخير ، فكتبت الي هوراس فالبول رسالة تقول فيها : « اعتقد بان نهايتي قد اقتربت . وهكذا قضى علي ان اموت دون ان اراك . ولكي لست أسف على شيء . فلا تحزن يا صديقي ، واستمتع بالحياة ما استطعت . ان كلامنا قد فقد صاحبه منذ وقت طويل . ولكنك ستأسف لموتي لأن من مباحج الحياة ان يشعر المرء بأنه محبوب » .

لقد كانت الجملة الأخيرة رائمة بمعناها وصدقها ، فسادا كان هوراس فالبول لم يبادل صديقته الفرنسية عاطفتها ، فقد كان سعيداً على الأقل ، لشعوره بانها تحبه هذا الحب كله ، وبانه استطاع ان يثير في قلبها هذه العاطفة الملتئمة ، وقد اسف لموتها حقاً ، وبكى عندما بلغه نبأها ، وحين علم انها قد تركت قلباً كانت تحسه بطفها ودمع مساوئه الكثير ، وان هذا الكلب لا يجد من يعنى به بسبب هذه الرساوي . نفسها ، بادر بالكتابة الي باريس لارسال الكلب الميعة قائلاً بانها سيجي به ويحرص عليه دون ان يحاول اصلاحه لان السيدة دودوفان قد احبته على نقائصه جميعاً .
ويضحك القدر العايب مرة أخرى .

فان هوراس فالبول ما كان يتبعو من الشباك التي نصبها له السيدة دودوفان ، حتى وقع في شباك فتاتين فرنسيتين انتميتا في باريس قبيل الثورة الفرنسية ، وقع في شباكه دون ان تنبها له . وكان فالبول قد بلغ سن الحادية والسبعين ، اما الفتاتان وهما اختان بارعتا الحمال ، فقد كانت كبيرهما في العشرين من عمرها . ويعشق فالبول الفتاتين اللتين ، ويتبدله بجهما ، ويردد هو مثلاً كانت تردد السيدة دودوفان : « يا عزيزتي الصغيرتين . يا ابنتي الحبيبتين . » وتبسمان هما في مرح ودعابة وسخرة . ولم يدم هذا الحب طويلاً ، فقد توفي فالبول بعد قليل ، تاركاً لها ثروته كلها .

هوراس فالبول



خليل مطران الذي اعرفه

بنام ربيع فلسطين

منذ

ستين أو يزيد قليلاً ، تلقيت رسالة من الأستاذ البير أديب يروجني فيها ان اتصل بالأستاذ خليل مطران في شأن من شؤون « الأديب » ، وكان الخليل يومئذ يمضي فصل الشتاء في فندق « اكسلسيور » في حلوان ، فلم أبدأ من الكتابة اليه راجياً منه التفضل بالرد على رسالتي .

ومضى شهر أو نحو لم أتلق فيه جواباً ، فقلت : امل به عذراً ، ولعل غافره .

و ذات صباح دق التليفون في مكتبي وقال عديني : كيف حالك ، ألا من سيل لرؤيك فاني اقرأ لك كثيراً وأرجو لقاءك .

قلت : ومن السائل ؟

أجاب : خليل مطران .

وفي اليوم نفسه زرت الخليل في داره عند ملتقى شارعى فؤاد الاول وسليمان باشا فاحتفى بي خفاوة أخجلت حياتي وأسكت لساني وجعلتني عاجزاً عن ان أفوه بحرف . فقد اخذ الخليل يتحدث مني حديث العارف المتشبع الترقى .

قلت له واللسان يتلهم : معذرة فقد ازعجت شيخوختك وأضجرت خلوتكم في فندق حلوان وقطعت عليكم جيل راحتكم . فكان رده قصة طويلة قصة بدأت بالاعتذار من الاطباء في ازيد على رسالتي ، وانتهت بتحديد الاعتذار ورجاء المغفرة .

اما القصة ، فهي قصة نفس تشقى ، وانسانية تتذبذب كدورج تريد ان تفيض الى بلوتها فتقف في الحلق ، والآلام لا كتب الله لاحد مثلاً .

فقد كان خليل مطران في الصنف السابق لذلك الشتاء يمضي اياماً في ثغر الاسكندرية في فندق « وندسور » المطل على البحر ،

يستروح ذبات الفضاء الطليقة ويرسل البصر الى آفاق تمتد مع البحر المتوسط حتى تندمج زرقته في زرقة السماء . وكان الخليل يستطيب هذه المناظر الخلابة ، ويهوى ذلك الهواء الطلق العادم بالنشوة ، فلم يظن الى انه اسرف في التعرض لذلك التيار وان آلاماً بدأت تدب في مفاصله . ولم يكن في مساقاة مطران ان يبقى في الثمر طويلاً ، فشد الرحال الى القاهرة يتداوى ويتطبب ويتلمس العلاج حتى اذا ما وفد الشتاء بلمناته كانت الحلة قد تأصلت ، وكان الداء قد كثبت يساقى مطران ، وكان « الروماتزم » قد شدد التكبير على فريسته . فانتقل الخليل الى حلوان على ما أسلفت .

وفي حلوان ذات الهواء الجاف والشمس الحارقة الشاوية ، امضى مطران شتاء لم يعرف له من قبل مثيلاً ، يومه يمضيه مستلقياً في الشمس ماداً ساقيه لا يبنأ به احد ، ولا يحفل به انسان . حتى التبدل والحلم كفوا يدعونه في رقدته لا يد له احد منهم يد عون . وفي الليل يأتوي الى حجرة نومه في الفندق فلا يطرقها عليه طارق ولا يسأل احد عن حاله .

اربعة اشهر في اعتكاف تلم عن الدنيا وعن الاهل وعن الصباح لا يدرى احد عن الخليل شيئاً ، ولا الخليل بتقدير على ان يسمى لاتياً ، غيره على قدميه . فقد استحس عليه ان يسير على قدميه وباتت المكازن وبض الحدم ارجلاً له تجمله حيث اراد وحيث تصكون الشمس .

اما الآلام البدنية والنفسية التي عركته ، فليس في الطاقة تصورها ولا حسابها . يصفها خليل مطران بنفسه قائلاً : احسست في هذه المدة بأسرها ان هناك قصاباً يحمل مدية حامية ولا هم لعفي الليل ولا في النهار سوى ان يقطع بها ساقى وقدمي و « ييضع »

بها بقلب متعجب ونفس خلت من ضجر وعينين لم تعودا
تروان الشقة .

وذاث مساء ، استيقظ خليل مطران في فندقه ، فاشفق على
نفسه من الوحدة القاتلة ومن الآلام المبرحة ، وتذكر ان اياماً
مضت دون ان يجد من يتحدث او يتحدث معه ، وثق لسانه الى
الكلام ، فما كان منه الا ان قطع صمت الليل بأغنية بدوية اخذ
يشيها بصوت مرتفع يعرفها عن نفسها لذهب وحشة الزلزل ويطمئن
نفسه بأن فيها روحاً لا تزال تحف وتلألأ ولا يزال ينشد الكلام .
والاغنية تقول :

اصبرك يا جيل ما جبلت نصحي سكرنا بدا الحوى ما عدت نصحي
وجسسي صانص ميت ونفس حي ونفس الحي باقي للصداب

ثم قال الخليل : لعلك بعد ذلك تذكرني ، فقد كنت مولياً
وما كانت يدي قادرة على ان تحط حرفاً .

ومضت الأيام ، وانا ارجع الى خليل مطران في داره ثم في
النادي الشرقي ، ثم في ميتا هوس ، ثم في داره ثانية بمعدل مرة في
كل اسبوع ، زرته جماعة وزوته وحيداً ، فكنت في كل مرة
اودعه ، امسح دموعه تفرق في العين واقول : يبدو ان هذه آخر
مرة التقي فيها بالخليل . فقد كانت اللة تزداد كل يوم اسكراً ،
كان يستطیع السیر على عكازين من اكثاف الرجال ، ولصعته
جيز عن ذلك ، وكان يستطیع ان ينتقل بالسيارة الى النادي
الشرقي ثم تذكر عليه ذلك ، وكان يستطیع ان يرجع فرشه الى
مقعد مريح مجاور له فلم يعد . بقادر على ذلك ، واخيراً أرم الفراش
اربعين يوماً او نحوها كانت خاتمتها ختاماً لحياة الخليل امير الاخلاق
في الشرق وسائر القرن العشرين بغير تراخ وبنتجيلة ومفخرة زمانه .

وكانت كل جلسة من جلسات مطران ، مائدة عامرة
بالشهي من الحديث ، الطيب من الرواة . فكان الخليل يتحدث
حديثاً صادقاً أميناً يجري على سجيحة من الصفاء ، ويحيط التام من
نفسه ثقة وقلب شرفه الله بالحب ووجدان صفا حذر التفرد الزلي .
كان خليل مطران يقول عن كل شاعر انه مروج لوطه مأمول
لهضة لغة الضاد . فاذا قيل له ان احدهم غث الانتاج هث النظم
قال : ولكنه غداً يبلغ التام ويدرك التضج .

فا عرف مطران مراداً لا اثبتة وعزز اصوله وسند فروعه
لكي يحل النبتة الصغيرة شجرة ذات فروع واسعة يستظل بها

كثيرون ، كذلك دوج ان يكون مواناً لكل مبتدى . وكل
صغير شأن ، نافلاً في هذا روح حساسة وفي ذاك روح تشجيع مطلماً
دائماً الى ما يحق للادب والعروبة غاية الجود .

ولعل القراء يعلمون ان اعظم دراسة كتبت عن خليل مطران
كانت بقلم اديب شاب هو الدكتور اسماعيل ادم . فقد درس
هذا الباحث المحقق ادب مطران وقابله بأدب الغرب وآداب الشرق
واعاد عنه سفرأ نفساً كان مفاجأة غير منتظرة للسكتبة العربية منذ
بضعة عشر عاماً . ولم يكن ادم يعرف مطران ولا كانت بينهما
صلة ، لذلك بوغت الخليل بهذا الكتاب يصدر لا زلفي ولا رياء .
ولا للتدريس ، وسعى على الفور الى لقاء اسماعيل ادم فكان اللقاء .
الاول والاخير فقد كان اسماعيل ادم يشكو الاملاق والاسودت
في وجهه الدنيا قفر في اليق ففانص الى قراره .

وهنا يقول مطران : يا لفتيحي في ادم ، كنت اريد له
نهاية غير هذه النهاية ، وكنت ارجو له ارتقاء في مصارج المجد
الادبي ، وكنت اشد ان اقدم له ليدأ فتفتح امامه المسالك الموصدة .
ولكن اللية سبقت فكانت كلمتها الفاصلة .

ولم ينشأ مطران يردد اسم اسماعيل ادم ، لانه يرى نفسه
مديناً له بكثير . وما كان ادم الا دافع جزية سبق بدفعها نيابة
عن جبل يقدر لمطران قدره ، فلما اداه ارضياً مرضياً ولى الى حيث
اختار نهايته .

سألت مطران يوماً عن مذكراته فقال : قد احترقتها لانها
غير ذات بال ولا نبي لم اسلمع ان ادونها يا يرضي اصدقائي من
ولى منهم ومن لم يول .

قلت : فلتنشر بعد عمر طويل .

قال : ان ما يتخرج المرء عن اخاعته في حياته يجب ان
يتخرج عن كثره بعد وفاته

وذاث يوم جاءه وقدم من احدى الجمعيات الخيرية الدينية يطلب
منه اعداد قصيدة لتلقى في حفل عام . وكان مطران في حالة استبد
به فيها المرض حتى كاد لموله يصعقه . ولكنه لم يرفض الدعوة
ولم يصرف الزأوين ، وفي اليوم التالي ارسلت القصيدة الصفا .
لتلقى في الحفل بين تصفيق المصفيين واعجاب المجيئين ، وما درى
احد من الذين سمعوا انشادها ان خليل مطران نظمها وهو الى
الموت اقرب منه الى الحياة نظمها ورأسه لا يكاد يكون متصلاً
بجسمه . فقد كان خليل مطران في العامين الاخيرين من عمره يشكو
ألماً في كل جزء من اجزاء بدنه : اذا صافح احداً تألم ، واذا فتح

والقصيدة الاخيرة لمطران مطلعها :

يدعوك مثل والته بيد
عز الزاء الى السمع يلح في
أيا المروءة ان خطبك غطيا
تسنى الجسوم وبد تأيك أفس
لا التوح يثنيها ولا التمديد
رذنتك طائفة يحار عينا
أنى يمزجا وأنت فريد
كانت بهدك أسرة قومتها
قنت وما بغروها وأويد
وختم الرثاء بقوله :

يا من نودعه أنزع للنوى والاسر أس الله حين يريد
من غصن ملك بالمروءة عمره فلنسكره الاكرام والتخليد

هذه اوراق التتبعها من مفكرة الذاكرة عن قيد الادب
والعروبة والاخلاق الاب والاعوالصديق خليل مطران بك . فالى
غد قريب ارجو ان تسع فسحته للكتابة عن الحليل الوفي النبيل
امل الانسانية الذي غيبه ظلام القبر .

وربع فلسطين

القاهرة

عينه تالم ، واذا هز رأسه توجع ، واذا تقلب في مضده او فراشه
تقلب كما لو على حجر . ولكن مطران كان مجالداً مصابراً تفتيز بذلك
على ايوب الى الصبر والجلا .

وعندما طبع الجزء الثاني من ديوان الحليل ، قال لي خليل
مطران : تكفي نسخة واحدة من الديوان اهديا الى صالح .
وصالح هذا هو السكرتير الذي كان ينسخ شعر مطران ويراجعه
يوثبه بالاشارة مع « لجنة تكريم الحليل » .

وكان الحليل يطلب الصحف حتى ايامه الاخيرة ، لا يقرأها
فلم تعد صحته تحتمل ذلك ، بل يعرف من من اصدقائه رزى .
في قريب فيزيه بالبرق ، ومن منهم اقبلت عليه الدنيا فيهمته .
قد كان خليل مطران مغفولاً على الوفاء ، تجري دماء الاخلاص
في دمه عن سليقة وسجية ، وما ذلك بنزيب من اديب تحدر من
ارومة النبلاء وخرج من اصلاص الثرقاء ، من اقطاب الشرق . ولما
راى امله ان الحليل يتأثر كثيراً بفقد رفاقه واصدقائه ، محدودا الى
اشقاء الصحف منه حتى لا ترداد حالته الصحية ضيعة نفسياً ، وحتى

يظل ثانياً عن كل ازمة تنجي . في وكتب الحزن المشـ .

ولكن خليل مطران كان ينشبت برأيه ويصر على
طلب الصحف وتلاوة انباء المجتمع ومناهي الناس .

وحدث اخيراً ان انتقل الى مولاة المخضرة له
نجيب الترابي باشا ، وكان هذا صديقاً لحياتاً لمطران
ولمّا وفاقاً له واديباً يخاله مطران اصحاباً باصجاب .
فما ناه السامي في الصحف واطلع عليها خليل
مطران بكاه بالسخين من الدعم واخذ منه التأثير كل
ماأخذ حتى فجأته ازمة خشي اطباء مقبتها وحسبوه
يلفظ آخر انفسه . ولكنها كانت طائفة طائفة ولت ،
ومع ذلك لم تستطع ان تصرف مطران عن طلب
الصحف لانه عاد بعد الفلجوة بطلها ويلح في تلاوتها
ليشارك اصدقائه عنهم ومسراتهم .

اما آخر قصيدة لخليل مطران ، فقد نظمها في
اواخر يوليو (حزيران) ١٩٤٢ وكانت في رثاء المخضرة
لمطران بولس سلمان مطران شرق الاردن . وسبق هذا
الرثاء قصيدة اخرى نظمها في رثاء اطون الجليل باشا ايام
كان يستشفى في حوان ، ولكنها لم يستطع نشرها في
حينها فنشرتها الاهرام في اوائل عام ١٩٤٢ في مناسبة
مرور العام الاول على وفاة الجليل باشا .

تذليل

الشي الفاحش



أجود الأصناف والذميا طمگما

مركزه العام سوريا ولبنان
مركزه بيروت فوطسط
حان نظرون بك - بيروت





الوقت غسقاً ، وكان تلج وطلب نخبث يدور يبط .
حول مصابيح الشارع المارة حديثاً ، ثم يهبط
طبقات رقيقة ناعمة ، على السطح وظهور الافراس
وأكتاف المارة وقبائحهم . وكان سائق العربة « ايونا يوتا كوف »
ايضاً تماماً يشبه الخيال . وقد انطوى على نفسه بقدر ما يستطيع الجسم
الانساني ان ينطوي . وجلس على مقعده دون ان يأتي حركة ما ،
وكان يبدو ان لو سقطت عليه كتلة من الثلج ، لما رأى من الضروري
ان ينفضها عنه . وكذلك ، كان حصانه الصغير ابيض لا يأتي
بحركة . وكان حموده وتعليبه وأطرافه الشبيهة بالخشب المستقيم ،
والممنضة الى بعضها ، تعلية مظهر حصان هزيل ، لا يساوي اكثر
من « كويك » واحد . وكان هو الآخر ، من دون اي شك ،

غارقاً في تفكير عميق . والحق انك انت نفسك ،
لو خطفت بعيداً عن عرائك ومحيطك الاخير
المادي ، وألقيت وسط هذا المعان الصاخب ،
الملي بالانوار الشيطانية ، والضجة غير المنقطعة ،
والناس المرعجين جيئةً وذهاباً ، لوجدت انت
ايضاً ، كم يصعب عليك عدم التفكير .

وقد مرت حتى الآن ، مدة طويلة على ايونا
وحصانه لم يتحركا خلافاً من موضعهما قيد الملة .
وكان ايونا قد ترك دلاؤه قبل الغداء . وحتى هذه
الساعة لم يوص . بأية « توصية » . وقد بدأ
ضباب المساء يهبط على المدينة فتصلع انوار
المصابيح الباهتة ، محل اشعاعاتها الالامية ،
بينما اخذت ضجة الشارع ترداداً ارتقاعاً .

وفجأة ، طرق سمع ايونا صوت يقول « عرجبي ، الى طريق
فيبورغ يا عرجبي ، هل انت نائم ؟ هيا بي الى طريق فيبورغ » .
وينفض ايونا ، ليري من خلال عملاء عينيه المكسور بالثلج ، ضابطاً
في معطف فخفاض ، وقبسته على رأسه . . . ويعود الضابط يقول
« الى طريق فيبورغ . هل انت نائم ؟ هيا الى طريق فيبورغ » .

ومسك ايونا عتار الحصان ، مرمئاً
بالواقعة ، فيسقط نتيجة ذلك ، الثلج من
ظهر الحصان ورقبته . ويأخذ الضابط
مكانه في العربة . بينما يصوت ايونا
بشغفه مشجعاً حصانه . ثم يمد عنقه

كلاوزة ، ويبدل جلسته ، ويلوح بسوطه ، بتأثير المادية - اكثر
منه بتأثير الضرورة . وكذلك يمد الحصان الصغير رقبته ،
ويطوي ارجله الشبيهة بالخشب ، ويتحرك مترددأ .
وفي الطريق ، سمع ايونا صوتاً من تلك الكتل المتحركة ،
ذهاباً واياباً .

— ماذا تفعل يا هذا ؟ الى اين انت ذاهب ؟ مجن الشيطان .
اذهب نحو اليمين ، نحو اليمين . ويصيح الضابط غاضباً .

— الا تعلم كيف تسوق ؟ سر الى اليمين دوماً . ويشته صاحب
عربة اخرى ، وينظر اليه احد المارة ، الذي كان يحاول عبور
الطريق ركضاً . فسمع كعنه بأنف الحصان ، بعنف شديد ، وهو
ينفض الثلج عن مرقفه .

ويبدل ايونا من جلسته ، وكأنه يقعد على
ابر حادة . ثم يحرك يديه ، كمن يريد الاحتفاظ
بأثرانه . ويتتاب كمن يريد ان يعطس ولكن لا
يتمكن ، لماذا هو هنا او كيف جاء الى هذا
المكان . ويقول الضابط مازحاً .

— يا لهم من خبيثاء ، ان الانسان ليظن
انهم قد اتفقوا جميعاً على ان يضابقوك ، او يبقوا
تحت حضانك .

ويستدير ايونا نحو الضابط ، ويحرك
شفتيه . انه بكل تأكيد يريد ان يقول شيئاً .
ولكنه لم يخرج من بينهما الا لغة . ويسأل
الضابط . « ما الامر ؟ فيلوي ايونا فه بشكل

ابستامة ، ويبدل جهداً كبيراً حتى يقول ، بصوت مبسوح :

— لقد مات ولدي هذا الاسبوع .

— حم ، وما سبب موته ؟ فيستدير ايونا بشكل جسده نحو
الضابط قائلاً .

— ومن يلم ؟ يقولون بتأثير حمى شديدة ، لقد بقي ثلاثة
ايام في المستشفى ، ومن ثم مات ، فلتكن مشيئة الله .

ويعلو صوت في الظلمة يقول :
« استدر ، يا للشيطان ، هل فقدت صوابك
ايا الكلب الهرم . هلا تستعمل عينيك ؟ » .
ويجيب الضابط . « تابع ، تابع ، والا لما
وصلنا الى هناك حتي القد . اسرع قليلاً » .



هل من يحب ان افسى حزني

لاظفونه تنحرف

زهره سهيل ابوب



« القتل » حقيقة . ويبدو صوت ايونا ضاحكاً .

— ها ها ها ، يا لهم من شبان مرجح . ولكن الاحدب يصبح باهتزاز . « كفى ، اذهب الى الشيطان ، هل ستقطع الجمر ام لا ؟ ايها الطاعون المين ، اهكذا يسوق الانسان ؟ استعمل السوط قليلاً ، اسرع بحق الشيطان » . ويشمر ايونا وراه بأرجل الضغير ، يهتز بشدة ، وفي صوته رجفة ، ويستع الى الشتام الموجهة اليه . ثم يدبر نظره في الناس ويأخذ شعوره بالوحدة يزايده رويداً رويداً . بينما يتابع الاحدب شغفه ، ولا يتوقف عن المضي فيها ، الا حين تداخه نوبة شديدة من السعال . ويتندى الشان الطويلان ، يشكلمان عن امرأة تدعى « ناديجرا بتروفنا » . وينظر ايونا نحوهم مرات عديدة ، منظرًا صتاموفاً ، حتى اذا كان له ما اراد ، التفت نحوهم وهمس : « ولدي ، مات هذا الاسبرع » فيجيب الاحدب ، وهو ينشف شفتيه اثر نوبة سعال . « لا بد لنا من ان نغوث جيداً . والان اسرع . يا سادتي انا لا استطع ان اذهب ابعد من هذا على هذا الشكل ، ليت شرعي حتى سيصل بنا الى هناك » . فيجيب احدهما .

— حه في عتقه قليلاً على الاسراع . . . ويأخذ الاحدب بشبهه ، ويضعه على رقبته .

— ايها الطاعون المين . افلا تسمع ؟ اسرع ولا حزرت لك رقبته . اذا اراد الانسان ان يعامل امثالك باحترام فالافضل له ان يذهب سرياً على قدميه ، اما ايونا فقد كان يسمع رنات الصفات التي كان يكيلها له الاحدب ، اكثر مما كان يشعر بها . ويضعك ثم يقول « حقاً انهم لسادة مرحون ، حفظهم الله » .

ويسأله احد الطويلين « عرجي ، هل انت متزوج » .

— انا ؟ ها ها ايها السادة المرحون . الآن ليس لي سوى زوجة واحدة ، هي الارض اوطية . ها ها اريد ان اقول القدر ، لقد مات ولدي . وانا ما ازال حياً . حقاً انه لشهي حبيب ، ان يضل الموت الطريق . فرضاً من ان يأتي الي ، ذهب الى ولدي . ويثلث ايونا نحوهم ، يريد ان يروي ، كيف مات ولده . ولكن الاحدب يدلن في هذه اللحظة . وهو يوسل من فيه زفرة قصيرة . « لقد وصلنا أخيراً الى وجهتنا . شكراً وحماً لله » .

ويراهم ايونا يخفون في البوابة المظلمة . ومرة اخرى يعود وحيداً . ومن جديد يعود للسكون محيط به . ويعود اليه حزنه الذي كان قد تفصل لمدة قصيرة . فيشمر قلبه بقوة اشد من

ويعود السائق عن عتقه ، ويجلس جيداً على مقعده ، ويبرز سوطه مكروهاً . ثم يستدير بعد ذلك ، عدة مرات يلقي نظره على زيوته . ولكن هذا الأخير ، كان قد اطلق جنفيه ، وكأنه يعد بذلك ، عن عدم استعداده لان يسمع شيئاً .

وبعد ان اواصل ايونا التنابط الى فيبورغ عوقف بجانب مقهى . وطوى نفسه على مقعده ، وبقي هكذا دون حراك من جديد بينما اخذ التلج مرة ثانية ينضليه مع حصانه .

وقر ساعة ، ثم اخرى . . . وقبأة على طول الطريق ، يتقدم ثلاثة شبان يصرخون ويضاخون . وكان اثنان منهم ، طويلين هزيلين ، واما الثالث قصيراً ، وذو تنوء في ظهره . وصاح احدهم بصوت جهوري . « عرجي ، الى جسر البوليس ، ثلاثنا بعشرين كوبيكاً » . ويسألك ايونا بالعان ، ويصفر بشفتيه . وبالرغم من ان مشرين كوبيكاً ، ليست بالاجر الحسن ، فليس بما يجهه اكلن هذا الاجر روبلاً كاملاً ، او خمسة كوبيكات فقط . ان كل شي ، اليوم سواء ، بالنسبة اليه ، ثم انهم زبائن عابرون ،

ويقتوب الشبان الثلاثة عن العربة ، وهم يتدافعون ويتشلقون بكلام بذي . ويحاول ثلاثهم دفعة واحدة ان يجلسوا على القند . ثم يدور بينهم نقاش حاد حول الذي سيجيى واقد . والى الذي سيجلسان . وبعد ان اختلفوا ، وسب كل منهم الآخر قروا فيهم على ان يبقى ذلك الاحدب واقفاً ، با انه اصغر حجماً منها . ويقول الاحدب بصوت مدو ، وهو يأخذ مكانه في العربة الصغيرة ، ويؤفر في عتق ايونا « ها اسرع » .

— ولكن يا رفيقي ، ابة قبة هذه التي حصلت عليها وحقك ليس هناك اسوأ منها قبة في بطرسبرج كلها .

— هي هي هي . يضطك ايونا ، مثل هذه .

— والان يا « مثل هذه » اسرع . هل ستقطع الطريق كلها بهذه الخطى . هل انت ؟ اوتيدها (الضفة) على نقرتك ؟ . ويقاطعه احد الطويلين قائلاً .

— أشمر برأسى وكأنه يخرق . لقد شربنا انا و « ناشكا » ليلقة امس اربع زجاجات كونيكا بكاملها . فيجيب الثاني بغضب . . . انا لا اطم لاي سبب تكذب . انك تكذب كصبيان . — فليضربني الرب ، ان لم تكن الحقيقة بيننا .

— انها طرية بلن تكون حقيقة . بقدر ما يكون سمبال

السابق اليس من انسان واحد يود سماع قصته ؟ ولكن الجوع
تمر بسرعة دون ان تلاحظ حزنه . ومع ذلك فانه حزن عظيم لا
حدود له . . ويبدو له ان قلبه لو انفجر ، وانطلق احزن الكامن
فيه ، لتدمر الارض كلها ، ومع ذلك فان سواه لا يراه ، او
يشعر به . ان هذا الحزن ، قد سمى كي يجنبى . نفسه في ملجأ عديم
الاهمية ، الى درجة ان لا يستطيع مشاهدته احد حتى في وضوح
النهار ، وبمساعدة النور .

ويرى ايونا حالاً ، وعلى كتفه بضعة اكياس صغيرة ، فيقرر
التحدث اليه .

— كم الساعة الآن ، ايها الصديق ؟ .

— اكتر من التاسعة ، ولكن لم انت واقف هنا ؟ هيا
تحرك الى غير هذا المكان ، ويتحرك ايونا بضعة خطوات ، ويعود
فيعطري على نفسه ، ويترك حزنه الثانى . انه يدرك اخيراً ان
توجهه الى الناس طلباً للعونة ، لا طائل تحته ، فيعود بعد اقل من
خمس دقائق ، فيشدد قامته ، ويمسك برأسه وكأنه يشعر فيه بالمر
صيف . ثم يأخذ بالعان بين يديه ؟ انه لا يستطيع ان يتحمل
اكتر من هذا ، ويهس نفسه « الى الاسطبل » . ويتطلق الحصان
غيباً ، وكأنه قد ادرك ما يجول في خاطره سرياً ،

ويجلس ايونا بعد ساعة ونصف الساعة . امام مدافاة عليها
الاسواخ والافذار ، وحول هذه المدافاة ، على الارض ، وقوق
البترك ، الناس يشخرون . ان هراء الترفقة ثقيل وحار ، بشكل خانق .

وينظر ايونا الى الثانى ، ويمسك جلده ، انه يأسف لودته
ياكراً جداً . ويقول في نفسه « اننى لم اكسب اليوم ، حتى ولا ثمن
علف الحصان بهذا هو بكل تأكيد سبب اتواجي . ان رجلاً
يعرف عمله حق المعرفة ، ويمسك الطعام الكافي له ولحصانه يستطيع
دوماً ان ينال هيدوى وسلام » ويتحرك سائق آخر في احدى
الزوايا . ويجلس نصف جلسة ، ويشمل قليلاً ثم يسحب نفسه نحو
وعاء ماء ، فيسأله ايونا .

— أتريد جرعة ماء ؟

— كلا ، لا اريد ماء !

— حقاً ، ولكن استمع لي ، انت تعلم ايها الصديق انغولدي
قد مات . هل تسمع ؟ قد مات هذا الاسبوع في المستشفى ، انها
قصة طويلة . وينظر ايونا كي يرى اى اثر تركت كلماته . فبوى

الرجل وقد اخفى وجهه ، وعاد من جديد يغط في نومه .

ويؤفر الرجل الشيخ ، ويمسك رأسه . فطما سكن الرجل الشاب
يريد ان يشرب ، هكذا الشيخ ، يريد ان يتكلم . ولن يمر وقت
طويل حتى يكون قد انقضى اسبوع على وفاة ولده . ومع ذلك
فلم يتكلم من ان يتحدث عن ذلك ، كما يجب لاي شخص كان . .
ان عليه ان يوهيا بقوى واعتناء . كيف سقط ابنه مريضاً ، وكيف
تعذب . وماذا قال قبل ان يموت ؟ ثم كيف مات . ان عليه ان
يصف كل شاردة حدثت اثنا . التشيع . والرحلة الى المستشفى
لجلب ثياب المرحوم . لم تبق ابنته انيسيا في القرية ؟ ان عليه ان
يتكلم عنها ايضاً . ان عنده اخن ما يتكلم عنه . ولا شك في ان
المتسع سيأوده ويؤفر لحديثه ، وسيأثر منه . ومن الافضل ايضاً
ان يتحدث بهذا الامر الى النساء ، فبالرغم من بلاهتهن . فان
كلمتين تكفيان لان تبكيهين ويقول ايونا لنفسه « سأذهب »
واعتي قليلاً بالحصان . فإ يزال هناك وقت كاف للنوم . ولا خوف
علي من ذلك » .

وغمي ايونا مطف على كتفيه ، ويذهب الى حصانه في الاسطبل
ويفكر في الشجر والطف والطقس ، انه لا يجسر على التفكير في
ولده عندما يكون وحيداً ، انه يستطيع ان يكلم اى شخص
منه . انما ان يفكر فيه ويشته في خاطره ، فذلك يؤله بشكل
لا يطاق . وسأل ايونا حصانه ، وهو ينظر الى عينيه الهاتنتين :

— هل تأكل جيداً . هيا تابع تناول طعامك . فبالرغم من
اننا لم نكسب اليوم شيئاً كي نشترى به شيئاً ، فاننا نستطيع
ان نأكل تبنياً . نعم ! اننى قد شفت كثيراً . حتى لا نستطيع ان
اسوق . ان ولدي كان يستطيع ذلك . وليس انا . لقد كان سائقاً
من الدرجات الاولى لو انه فقط كان قد عاش . . ويصمت ايونا
لحظة ثم يتابع .

— هذا ما حدث يا حصاني . لم يعد هناك من يدعى « كوزما
ايونيتش » . لقد تركنا وذهب بعيداً . والان دعنا نفترض ، ان
مئذك مهراً ، وانك ما لهذا المهر . وفجأة — لنفرض ذلك — ذهب
هذا المهر ، وتركك تحيا بمعد . انك ستكون حزينة . اليس
كذلك ؟ ويضع الحصان ما في فمه ، ويستمع ثم يؤفر على يد سيده .
ان مشاعر ايونا ، لاشد من ان يتحملها وحده . حتى انه لم
يعد يستطيع لهاكتا . فيقبل على الحصان ، يروي له القصة بكاملها .

سهريل ابوب

دوسى

تراب

قيل لي: انت خفته من تراب! فاقشرت بكعبيا. جراحي
قلت لا، لن اكون طيباً من الطين، انا من سلالة الارواح. ا
وتشددت. واقتديت خلودي، وطماح للتي. باغلي الاخاخي
بدمي، بالحبيس من نازعاتي، برؤى الليل، وابتهاج الصباح
وتغنيت للوجود بشرى اتحدى به الزمان الساحي
وادعيت السم: حقاً. لقد حلفت لكن- من التراب جناحي. ا

محمد عبد البرطلان

بدراد

الى اخي...

اهاجت بك الذكرى لمسولة حوا ام اعدت من المجر فارتمت لتجوى
حنانك بعض الجهد- يا صاب- فالهوى به كالمزور، لا مثلاً- تجوى
افانين هذي الروح. نكبا. بعضها وبعض يوافيك الجواب يا دحوا

فديتك. لا نغني بأول عارض فما القذة الكبرى سوى النهاية القصوى
لان كان هجرأ جالباً لك داء. فذلك دواء في النهاية لا ادوا
فرب خبيب مظهر لك صده يعاكس قلباً في غلاته يضوى
ايهل منك الود تصفيه مشرباً وتطلي مقاداً بعد ذلك لا يلوى
فلا هو عن حبيك تجديه سلوة ولا انت بالسالي لايامه الفتوا
وليس بنساده وان كان زاهراً بكل اخي حب قمرس بالبلوى
كذلك للنازين نار صباية وتار بها تكوي العذول ولا تكوي
ومثلك لليرمين يوم شدائد ويوم به يستطر المن والسوى
ومثل يراع في بنائك مشرع على نحو الرمع ساعده الاقوى
ينث دما في حالة وبهتسا ينثر ورداً عن شمائله يروى

لك الفكر دفاً على كل زاهر صباحاً يشيع النور او ينثر الشذا
تنقل في الامواج فنيهم واهباً تائه والطير في روضها شدوا
يطوف ليحيى او يطوف ليحتي فيروي غليلاً من مجانيه او يروى

لك الذوق كاليصوب عند خلية يقط غريباً شم من فيه ما يجوى
تغوى للاصباح اشهى تلفظاً واغذب جرساً من عجلة نشوى
فللمين ما توتاح فيه مسارحاً مدى العين ما تجلوا بمنظوره العشوى
والهقل ما يسويذي العقل صاعداً الى الافق الاعلى الى ساحة التجوى
اتاتك. ان الصبر اهدى حجة الى الهدف الاسمي الى قلب من تهوى

محمد رضا شرف البربر

جدة

فورة اللمس

اي نور يضي. حينك زهراً ان تمرين في مع الاشباح
اترى تلتان نفسك يلساً ثم تروين بأسها من جراحي
اتحسين ثورتني خلف صتي واختناق الآمال خلف مراحي
تلي يوم سنلتني مثل ظلين يطوقان عالم الارواح
لا حياة في نظرتينا ولا شوق لاسر او مأمل في صباح
فورة اللمس غمرة حين فاضت سكببت نفسها من الانداح

اكرم الوضي

بدراد

أبر

سجين وسجني يضيق
أبيكي؟ ومم؟ الكسا؟
نابت وكيف الرجوع؟
وهنا؟ وحدي غريب
غريق بيأسه يميت
لجأتنا هنا متعين
فلا أنتا الصباح
غريب وقلبي غريب
فيا نفس كفي الانين

اسير برأى طليق
واشكو واين الصديق؟
وبي الت وهم يحيق
بلا مؤنس او فيسق
وقلبي بيأسه غريق
وقلنا غداً نستفيق
وقنا، ظلنا الطريق
وبي السف وهم يحيق
تحملت ما لا اطيع

عبد الرزاق عبد الواحد

الكويت



مهجريات افريقية

ادباء ... ولكنهم سعداء !

بهم محمد يوسف مفند

مندها نعيمهم الارضية ايجب « تأديهم » .
وتصويهم اهزل الصور ارمهم مذروون جيلهم ،
ولسنا مذكورين لعلنا . ليس من المؤسف
ان يكون الاذكياء سفرة الاغبياء . ١

نحن لا ننسى ان يصبح الناس لهم ادياء . ولما ننسى ان يزول
الكفر بالقيم الروحية ، ويجل محل الايمان الحاصل بجبال الفكر
والعقيدة ، واليقين الصافي بان الادب من المنافع العظمى . وان
الحجر على الورق الذواخل من « المرق » . ١

ان الادباء غير زاهدين بـ « المادة » كما يظن اصحاب الامية
الفكرية انهم على طلبها اقدر على الانتفاع بها من الساديين
انفسهم . . ولكن الفرق انها في نظرهم ما كانت ، ولن تكون
جوهر الوجود ١

ان الادباء سعداء في حياتهم اكثر من جميع البشر لانهم
قادرون على تذوق طعم الحياة بجميع لذاتها المادية والروحية .
انهم يقتطعون للروح الادبي والفكري ، كما يقتطعون بالصفة
الراغبة سواء بسواء . ان العلوم قوت ، والادب قوت . وان الذين
لا يستطيعون الثبوت بفكر ذوق واحد ، هم الاغبياء .

الواقع ان الاديب المفطور ، لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر
الادب . حتى ولو لم يكن متجاً ، يظل قادراً ومتحرراً ومتبعاً .
والواقع انه « ينسر » كثيراً من منافع المادية في اشبارات الشؤون
والمساعي ولكنها الحسارة « المفروضة » التي ليس له منها بد
ولا مناص ارضا . لروحه وشعوره اقل الادب المفطور كالمساشق ،
« محتوم عليه » بحكم ميوله الفنية والجمالية ان « يضعي » يختاراً
متعلواً والمي حد ما ، بعض الاشبارات المكسية « المفيدة » .

رماني الدهر في السنبال غداً
باني تاجر . . حاشاي الي . .
ما يهني تظليل بكل حسن
ويوسك من خيالك والتفني . .
من العلم الذي لا نفع بهي . .
ونسألك وفرت عليه اذني
الى ما لم يكني . (١)

ان شئت الادبية في السنبال رغم « مادية » الحظ وعدم
قابليته للنشاط الادبي لم تهر الحياة الادبية فيها ينجم . ورغم
تفرقة مركزها لتحتي دائماً — بحكم اعمالنا — بذكر وكونك ،

... روحاً ، انتهوا لاعمالكم ، بلا ادب بلا بطيخ . الورق ،
لا يستقي مرق . هذه هي (النصيحة) التي يسعها اخوان الشلة
الادبية المعروفة في السنبال ، كلما بدت منهم يواذر تدل على
اهتمامهم بهذا الذي يشبه البطيخ . . ولا يستقي مرقة ١
انها لسفرة راحة حقاً ، هذه التي يستلها اصحاب الامية
الفكرية في غاطلة الادب . ان « المرق » هي اخس
غذاء . وارخصه ، والعمل الذي لا يدور على صاحبه حتى قبلة هذا
العلم الحسيس لا يستحق الثب ولا المبالاة به . . وهذا انتهى
« البلاغة » في التبرع عن الاستهانة بالادب ١

هذه الظاهرة النفسية العجيبة في مجتمعا ، يجب اخذها بروح
الجدة ، والوقوف عندها بنائة الاكتراث والتأمل احتراماً للفكر
والروح اوان التضاضي عنها مع استمرارها على مدى الزمن للفكر
والروح ايجب ردها الى مصدرها ، الى اصحابها ليحتفظوا بها
لانفسهم ايجب ان تسفر منهم كما يسفرون منا ايجب ان نفهمهم
لانهم لا يفهمون . ان نعم الزوج والفكر هي نعم متوازية تقف

فيه « اللات » التي استعجبنا	وبقيتها غير الشباب الورق
قارص ، هداك الله ، يا ابن شامرا	في ذمة الآباء لم يفرق
يروت املك . ان نسيت حناصا	لا تنس غيرة ضرة في جلق
مودا الى حضن العروبة انه	مجن يليب لكل حر مطلق
يكفي للهاجر ما جا من انجم	حلق الشباب جا قلم تنالق
وبلازل خلق النشار شديدا	فيعطيا كفن من الاسترق
لست الشئ ، انا الشئ لاني	اي . . . وقضي لا يمك من بي

(١) للكاتب من قصيدة .

موسى صبر

موسى ابرس

ويحل الكتاب محل ثوب البضاعة . والسؤال عن الجديد الأدبي محل السؤال عن جديد السوق . إن وراء كل (كتشور) لنا (مكتبة) حافلة بشتى الصف والكاتب . وفي اجتماعاتنا الخاصة في النهار والسهرة نخوض في جميع المواضيع ، ونبادل أفانين الفكر ، وأفاق الرأي حول ما قرأنا في الصحف ، وصعنا بالأذاعة . فتجادل ، ونحلل ، وننكت ، ونعلق .

قلت «اجتماعاتنا الخاصة» وهي مقصودة قصداً ، ابتعاداً عن لا يقدروننا ولا نقدرهم ، وحرصاً على (بضاعتنا) التي لا تروج بغير اسواقنا . اذكر - على سبيل المثال - اني اتيت من نيورو ذات نهار الى كولك اعمل قصيدة جديدة لأقرأها امام الاخوان . ولكن اتدري اين قرأتها ؟ ركبنا السيارة ، وخرجنا بعيداً عن المدينة - وراء الملاحه^(١) وهناك قعدنا ، وقرأنا القصيدة .

وبعد ، فاليكم هذه المتفرقات الأدبية ، فانها تعطيك صورة عن حياتنا - اخوان الادب - في افريقيا :

امتدنا - اخوان كولك - التزول حيناً ببطء العاصلة (ذكر) عند احدنا محمد مكسي . لاحقاً بتلك (الدخينة) التي يسكنها بل حبا بالحرية «الثامة» التي تحملها عتده ، ولا تحصل عليها عند سلمان أمون او حين خشن مثلاً . ثم حبا بشارسياته الدواقي لا ينقلن عن محله . وعبد مكسي ، او القرم كما كان يحلو لبعضنا ان نسميه ، شاب على جانب من المظف والنسوة ، وخاصة مع الشقراوات .. ولا عجب فهو شاعر .

دخلنا عليه مرة على فجأة ، فوجدناه قائماً يصلي .. وهو من نعرف !! فقال ابراهيم حاوي على الفور :

ومن المجانب ان بيت (....) صارت تمام بركته الصلوات ! فقال غيب صعب ، وهو اخبنا في التليق : هذا المتيذني ان يعلق لفته على الباب !

وارسل غيب صعب يوماً قصيدة جديدة لغيب نصار ليطلعها عليها ويرى رأيه فيها . وكان اجل بيت في القصيدة يتضن كلمة نادرة وغير منسجة مع شاعرية البيت . ولما وصل اليها غيب قال له : ان وجود هذه الكلمة هنا ، كوجود اليهود في فلسطين . ا

وغيب نصار هذا ادب ذو مقدرة في التليق على غاية من الطرافة : قرأ مرة ما كتبه «المعهد» عن مجلته الأدبية

(١) موضع معروف بكولك .

«الاماني»^(١) التي كنا نزمين على اصدارها يومئذ ، فعلق على الماشر ما يلي : اميركا اليوم بدأت بتنفيذ مشروع مرشال ، فقاوضوها بقرض لاصدار الاماني ..

في احدى سنوات الحرب انقطع السكر ، وتعذر على الناس شرب القهوة الا فياندر . وحدث ان ارسل ابراهيم حاوي هدية سكر ل أحد اصدقائه يذكر مع رسالة فكاهية يطبخ فيها بوصف هديته وأهميتها ويبالغ . وقيل ان هدية السكر وضعت سهواً في كيس الملح ، وقيل ان الصديق حاوي علمها قصد أوخطأها . ولما وصلت فرح بها مهدداً فرحاً غليظاً ، ودعا صديقه يونس يونس الى شرب القهوة . ولم كانت دهشتها عظيمة عندما رشقا اول رشقة . ولما طالع كتاب رسالة الى مهدي السكر المالح . وصدرها يونس يونس بهذين البيتين :

نفسك في وصف الهدايا وحسنا وجاورت في بيان الغلظا المدحا وحللتها ، حق استحال مذاقها اجابا ومن عارسكرها ملحا ؟
يونس هذا ، هو القائل - من قصيدة طيبة - يهجو بها احد المتشاعرين :

لم نلت من حمل لكي تلبو به فندوت من اجل البطالة شامرا .
كوتت العلة الزوقية كثرة متضخه فقال احدنا بذلك^(٢) :
يا لك هنة كثير ديداد وفلت قبة وجلال شان
فلو حلت جل اثن منها فليس يبالغ عن الاثان !

زرت يوماً الصديق حنا الكوسا بسان لوس . فشاهدت في غرفة النوم صندوقاً كبيراً يحكم الانفال . ففتنته صندوق بضاعة (محرمه) وكان الزمان ايام حرب ، والبضاعة المحرمة اربع انواع السلع واروجها . والصديق حنا معروف بالانحار بها . ثم تبين بعد ذلك ان الصندوق يحتوي مكتبة قسيه ، فقال لمانى عليها . ولما ذهبت ، تركت على المكتب البيات التالية :

ارى غيرا ، ولست ارى زحاما عليه اهل غشتنا الطحين ؟
فساخز العول بذى دواج وغير الخبز ما تقع البطرنا .
وكنتي لذلك ، لا لهذا من التسولين المايننا
اتشكو الفقر واليأس مثلي وبيتك يحتوي كترنا ثنبا ؟؟
ومن دفن الكنوز ومن فيها يش - ما عاش - شر المديننا
وما قم الذخائر غير بذل ووضع بين ايدي المارينا

(١) يوجد منها مخطوطان . واحدة لدى القنصلية الليانية بذكر «كتبت سنة ١٩٥٧ في ٩٦ صفحة . ومخطوطة اخرى في ٣٦٠ صفحة لدى الكلية الجفرية كتبت سنة ١٩٥٧ وقد سام بغيرها جميع اخوان الادب العربي في افريقيا .

(٢) للكاتب من قصيدة

فهب لي من « غداة » كسايًا
وفي اليوم التالي ، ارسل لي الاياداة مع الجواب التالي :
ومن غيب العقول جئت كثيرا
عرضت صنوف لونا فلونا
فأبوا بالهبات والمطايا
واذ برح الخفاء وجدتها
وقسا في « بيوت الملاء » موتا
فحين رأيت كثري كدقني
دفعت من الجوارح ما تبقي
ومن ترك الكنوز وقد نساوى
فان بشت الدفين غدار اسى
وحاذر ان تكون به ضيئا !
وقفت قبالة للجانيينا
على اعمل الثرا وللدعينا
وحنا لم يكن يوما ضيئا
تورثه ايادي المازنييا
فترق بين ايدي العاشييا
وروح الاخذ فيهم ان ثلثيا
وكان الغير صدوقا مينا
يعضي المرر مدودا حزينا
هنا اهل الحس والمخالييا !
سبقي الذي بعت الدنيا .

كنا يوما يدكر . وفيما نحن نجول في احياء المدينة استقرى
انتباهنا بنابة جميلة رابعة طوابق . واجع بنا الفضول ، فسلنا عن
صاحبها ، واذا هو من نعرف . انه احد اغنياء الحرب .. ترى
لماذا اختارت الاقدار هذا الفسل واجلسته على صدر هذه العصى ؟
حتى اصبح يلعب بالبلالين كما تلعب نحن بوق الاب . وما مشينا
خطوات حتى نعلم احدنا الايات الثلاثة الآتية التي تكدولتها
الايدي بسرعة ، وحدثت في نفوس الاغنياء . ما احدثت . اذ ظننا
كل غني اننا قبلت فيه . وعده هي :
امن المدل ان نرى كل خر
مزل الدهر ، فافانني رقاء
(حكمة) نضرم الخليفة غيظا
شادقصر يوما لئلا كثر خفي
وانتدب سيدا باكل علم :
قد يزل اللولاء ويهبط

زوج (فلان) ابو علي ابنته . وابو علي هذا رجل قروي فلاح
ومن الحيل القديم : بيد انه بارز بين الناس بصفتين : الشح الشديد ،
وسوء المعيشة في بيته رغم انه من (الثواكيل) . والاييات
المهاجية التالية نظمت به . ولكن احدا منا لا يدعيها حتى ابراهيم حاوي
الذي له بها اصنع . ولكي بالاتفاق مع غيب صعب ويونس ، قلنا
انه هو فافظها كلها لثور طه . لا سيما وان الصديق حاوي له في الهجاء
اليد الطولى . الم يبيع الدكتور (م) ، ثم هجانا نحن اصدقاؤه اذ دع
هجا . ولكن هذا (الحليشة) رغم انه (مقدم) في هجاء
الناس ، جبان متمتع الجبن . فان اقل حادث حكومي او غيره
كاف لطرحة في الفراش . او قوله يوم دعي مرة الى الكوميستيرية -
اكبر شاهد على ذلك :
.. ولقد ترايد خدعا غوي
حتى يلث بقة الجوف ! .
ولطالما لفتنا (الروايات) لنتسمع بخافوه ومشاهدة (التدابير)
التي يلجأ اليها . وها هي الايات المنسوبة الى حليتنا :

زوجت بنتك يا (فلان) ابو علي
بعتك (بالعلم) الذي البيت
لولاه لم تلبس جديدا موعيا
اعلج ثيابا عاصرت عهد الصبا
كل طيب ، لم تحم قدرك مرة
تألف ما فوق البسيطة مبتلي
واخيرا ، لا آخر . هذه الساتحة : استندت مرة (بالة) بضاعة
من احد تجارنا الكبار . وهو رجل لطيف الروح ، ذواق للادب
على احسن ما يرام ، على غير العهد بتجارنا . وحدث ان ابطأت عليه
بشن (الباله) . فكتب لي رسالة مختصرة تم عن ذوق رفيع في
الاداء والتلخيص ، واستشهد بهذا البيت المشهور :
قضى كل ذي دين نوفي ديونه . وهزة محمول معنى غريبا ..

فكتبته له : سيدي المظلول المعنى .. (كيتي) .
امتازت بثلاثة محاسن : مختصرة ، شأن كتابة كل تاجر كبير وثمين
الوقت .. ومهذبة في المطالبة شأن الدائن الكريم ، وطريفة
الروح كظا ففها قلم اديب ا حتى لقد اوشكت - لغرط اعجابي -
ان امتدحك ، لولا خشية ان تظن اني طامع بك . فانت رجل
مريض ، ولا مطمع فيك لاحد .. ولكنك - والله ! - لو لم تكن
تاجر ا لكنت اديبا ، لقد تصورتك ، تشكك بذلك البيت ،
كيف يتقضي الليالي في حجاب ، كما يوحي انك تنام على مثل حرك
السعدان . (الله الباله) . فقد بعثنا ، ووفيت غمها دائما لا حول له
ولا قوة . هذا على حورك وقوتك . فامهني الى الموسم !

وجاء الموسم ، ومضى شهر ، ولم ارسل له الدينة .. فارسل
لي هذا البيت الوعيد :
وهذي شهور الصيف تناقذ اعطت
ذات لثوى ترمي بليل للارباب !
وعلى الفور ، ارسلت له الدينة مع الايات التالية :

الا اجمد (الصب) الذي ليس سائبا
تقول لوى ديني ، فاقبل لشانه
فا ابطأت كمي ، ولا اناقت بدي
وناك وفاة الدين لندا ، واني
سروري وجعبي في ذكنا نلتيا !
وليس مطالما نرى ، بل ندأويا
ولكن دهري مطي . في راميا !
وفيك لندا حاضرا ، وقوانيا .

اما بعد ، فمضى ان يجد الذين كفروا بحال الحياة الادبية في
هذا المقال ما يوفه عن نفوسهم المتعبة . كما ارجو ان يكون
(شركة) في عيون الذين ينساوي عندهم الادب والبطيخ .
اكتنا نتاجر ، ولا نعلم الادب ، ونشامطى الادب ، ولا نبخس ،
التجارة . « وكل في فلان يسبحون » . ا .

محمد يوسف صفر

كورك - السغال

